البَابُ الثَّالِثُ

عوامل إفساد ذات البين، ووسائل إصلاح ذات البين، وأساليبه، وصفات المصلح

هذا البـاب يُبين عـوامل إفـسـاد ذات البين،وأسـاليـب الإصـلاح ، وصفات المصلح ، وما ينبغي للمتخاصمين الأخذ به .

وقد رأيت تقسيم هذا الباب إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : عوامل الإفساد .

الفصل الثاني : وسائل إصلاح ذات البين .

الفصل الثالث : أساليب عملية لإصلاح ذات البين .

الفصل الرابع : صفات المُصلح .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

عوامل إفساد ذات البين

المبحث الأول : ضعف الوازع الديني .

المبحث الثاني : ضعف التوثيق .

المبحث الثالث : تفكك منظومة القيم .

المبحث الرابع : العصبية .

المبحث الخامس : الطمع في الأراضي والشجار عليها .

المبحث السادس : تغييب الحدود .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

عوامل إفساد ذات البين

إن العوامل التي تسبب النزاعات وتبعث الخلافات والخصومات بين الناس كثيرة ومتنوعة ، ولا يمكن حصرها واستيعابها،ولكن نورد أهمها وهي على ستة مباحث :

المبحث الأول

ضعف الوازع الديني

إن فقدان التربية والتوجيه ، وعدم غرس القيم والمفاهيم الإسلامية وبث الروح الإيمانية ، وتعميق الوازع الديني في نفوس الصغار والكبار والرجال والنساء ، سوف يؤدي إلى أمراض اجتماعية وخُلقية، لعل أبرزها : الكذب والغش والتزوير واحتقار الآخرين والسخرية منهم والغيبة والنميمة والسباب والتنابز بالألقاب واتباع الظن السيء والتجسس والفتنة والحقد والإشاعة الكاذبة واللعن والطعن والغدر والقذف والإيذاء باليد واللسان وشهادة الزور وممارسة المنكر سراً وجهراً كالزنا والاغتصاب والسرقة والقتل والسلب والنهب والتخريب والعبث، وغيرها من الأخلاق الذميمة والأفعال القبيحة؛كل هذه الأمراض والعلل الاجتماعية والخلقية التي تسبب العداوات بين الناس وتثير الخصومة بينهم، وعندما يتعمق الوازع الديني والتربية الصالحة والتوجيه السليم بالرعاية المستمرة والرقابة الدائمة والتعهد بالموعظة الحسنة، عند ذلك تبرز آثار الوازع الديني ؛ فيكون الإخاء الذي بيَّنته وقررَّته الآية الكريمة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠] .

وهذه قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك [١] ، فعندما يحل الإيمان في قلوب الناس يحل الإيثار محلّ الأثَرَة ، والتعاون والتضحية محل الأنانية ، والألفة محلّ الخصام ، وعندما ينعدم ، أو يقل الوازع الديني في نفوس الناس ، سوف تحل العداوات والمخاصمات والنزاعات بين أفراد المجتمع ؛ بسبب ضعف الوازع الديني الذي يمنع الإنسان من ممارسة أفعال غير أخلاقية ؛ لأن قلبه قد فرغ من الخوف من الله ، وكم هو دقيق وعجيب هذا المعنى الذي لفت إليه الرسول ﷺ أنظارنا في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه ،فقال :قال رسول الله ﷺ :«**المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، لا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره**» ثم قال: « **التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره،كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وعرضه ، وماله ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم** » [٢] .

فالحديث يدل على أهمية الوزاع الديني في القلب،فإذا وجد وتكامل في القلب لا بد أن تتحقق من جراء ذلك ثمراته في المجتمع اليمني والإسلامي،وتتعمق روح التضامن والتكاتف والأخوة والحب الذي دعا إليه القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهرة.

فهذا القرآن يدعو إلى العفو والصلح والتسامح، قال تعالى: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور :٢٢] ، وليعفوا عن ذنبهم الذي أذنبوه عليهم وجنايتهم التي اقترفوها وليصفحوا بالإغضاء عن الجاني والإغماض عن جنايته [٣] .

ثم يرغِّبهم الله ويحبِّب إليهم العفو والمغفرة جزاء مغفرتهم لخصومهم ، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ **أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ [النور :٢٢] ، أي بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم [٤] ، وهذه الآية نزلت في أبي

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٦ / ٢٣٤٣ .

(٢) متفق عليه ، رواه البخاري ، رقم (٢٤٤٢) ومسلم رقم (٢٥٨٠) .

(٣) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ٤ / ١٧ .

(٤) إسماعيل حقي البروسوي ، تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٣ / ٣٤ .

بكر ـ رضي الله عنه ـ [١] فعندما تليت عليه ، قال أبو بكر : " والله إنِّي لأحبُّ أن يغفر الله لي ؛ فرجع إلى مسطح [٢] الذي كان ينفق عليه . [٣] .

فعندما يتحقق الوازع الديني ويتكامل في القلب ينتج عنه التضامن والتآلف. والأُخُوة التي قرَّرتها الآية : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠] . دائماً سمح ، فهذا ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ قد ظهر حسن تعامله مع خصومه لمّا تولَّى المظفر بيبرس [٤] سعى بعض المبتدعة لاستصدار فتوى بقتل شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولكن ما لبث أن عاد السلطان محمد قلاوون [٥] ، واستعاد الملك من بيبرس ، فقرَّب شيخ الإسلام ثم أخرج له فتوى أولئك المبتدعة بقتله ؛ لأنه كان حانقاً عليهم .

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : « ففهمت مقصوده ، وأنَّ عنده حنقاً شديداً عليهم لمّا خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس ، فشرعتُ في مدحهم والثَّناء عليهم وشكرهم ، وأنَّ هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك ، أمَّا أنا فهُم في حِلٍّ من حَقِّي ومِن جهتي » [٦] .

---

(١) أبو بكر الصديق ، عبد الله بن عثمان بن عامر ، كان أول الناس إسلاماً وأفضلهم إيماناً ، توفي وعمره ٦٣ سنة ، ليلة الثلاثاء لثمان بقين لجمادى الآخرة ، دفن في جوار الرسول ﷺ . يُنظر : الأصبهاني، معرفة الصحابة، ١ / ٤٨ .

(٢) مسطح بن أثاثة بن عبد المطلب بن عبد مناف ، من قريش ، صحابي، كان فقيراً ينفق عليه أبو بكر ، ولد سنة ٢٢ ق.هـ ، توفي سنة ٣٤هـ ، عاش ٥٦ سنة ، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. سير أعلام النبلاء ، ١/١٨٧ . الأعلام للزِركْلي ٧ / ٢١٥ .

(٣) أخرجه البخاري ٨ / ٤٣٦ ومسلم ١٧ / ١٠٢ والترمذي ٤ / ١٥٥ .

(٤) المظفر بيبرس الجاشنكير المنصوري ركن الدين الملك المظفر ، أحد السلاطين المماليك لمصر والشام ، شركسي الأصل ، كان من مماليك المنصور قلاوون ، توفي سنة ٧٠٩هـ . الأعلام للزِركْلي ٢ / ٧٩ .

(٥) المالك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، كان شهماً كريماً ، وكان معظماً للعلماء مجازاً لهم معزِّزاً مبجِّلاً لهم . أبو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ١٤ / ٥١ . يُنظر : الأعلام للزِركْلي ٧ / ١١ .

(٦) أبو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ١٤ / ٥٤ـ٥٥ .

المبحث الثاني

ضعف التوثيق

يرجع ذلك إلى الثقة المتبادلة بين الشريك وشريكه، والمشتري والبائع ، والعامل وصاحب العمل ، وبين الشركة والتاجر المستورد ؛ وذلك لجهلهم إنَّ التعامل لا يُبنى غالباً على الثقة ، وإنّما على التوثيق والكتابة وخاصة في التعاملات المالية ، ولكن الإنسان وخاصة عند عدم الخبرة بتقلُّبات النفوس والأمزجة ، يتعامل بالفطرة السليمة والثِّقة الزائدة ، ولكن عندما تتوسَّع تعاملات الإنسان ويواجه أشخاصاً مختلفين منهم البَر والفاجر ، والوفي والمخادع ، عند ذلك تتوسّع مداركه ، ويتعرّف على الناس وكيفية التعامل معهم ، ولكن بعد فوات الأوان ، ووقوع الفاس على الرأس ، وزيادة على ذلك يمر الزمن ويكبر الأبناء ويكثر الحُسَّاد ومثيرو الفرقة ، وتبدأ الأحقاد وتتسع الفجوة ، وتزداد المراقبة والمحاسبة ، وهنا تحدث الخلافات ، ويتدخل الشيطان وأعوانه لإذكاء الخصومات وتتوقف الأعمال المشتركة بين المتعاملين ، وعندما يرغب المصلحون في فض النِّزاع بالحلول المُرْضيه فلا يجدون وثائق تحدِّد لكلّ واحد حقَّه من المتنازع عليه ، لعدم وجود عقود واتفاقات مكتوبة ؛ فيحصل الخلاف وتنحسر القيم ، وتغيب الضمائر الحيَّة ، ولا سيَّما في أيامنا هذه التي استغلَّ فيها مرضى النفوس المغالطة والخداع ؛ نتيجة عدم توثيق التعاملات بالكتاب وشهادة الشهود ، إضافة إلى ذلك كثرة شهود الزور والمحامين المغالطين والقضاة المرتشين ، وهذا يرجع إلى إهمال وترك شريعة الله في توثيق العقود ، قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ [البقرة:٢٨٢].

وفي الآية نفسها يامر الله بالإشهاد :﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

المبحث الثالث

تفكُّك منظومة القيَم في المجتمع

[١] الكـــذب :

(أ) معناه لغة : نقيض الصدق [١] .

(ب) معناه اصطلاحاً : قال الصنعاني [٢] : « الكذب ما خالف الواقع » [٣] .

والكذب هو : الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه [٤] .

فالكذب: أحد سبُل الفساد في المجتمعات، فمشاكل العالم اليوم تبدأ من فقدان الصِّدق ، وانتشار الكذب في الأقوال والأعمال والنيّات والمظاهر [٥] .

فالكذب يؤدِّي إلى فساد العلاقات بين الأُسَر وجماعة العمل والأصدقاء وبين أفراد المجتمع ؛ لأنه يثير الشك والريبة في صدق الأقوال والأفعال ، ويُفسِد ذات البين ، وبالتالي يؤدِّي إلى غضب الله تعالى .

والكذب جماع كل شر، وأصل كل ذمٍّ ؛ لسوء عواقبه وخُبث نتائجه ؛ لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة ، وليس مع العداوة أمنٌ ولا راحة [٦] .

فالكذبُ يُفسِد ذات البين ، ويحدث العداوة وينزع الأمن ، ويثير المنازعات

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كَذَبَ) ١ / ٧٠٤ .

(٢) الصنعاني ، هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن الحسين الكحلاني ثم الصنعاني ، أبو إبراهيم عز الدين المعروف بالأمير ، وهو مجتهد ، له مؤلفات كثيرة ، أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام ، ولد سنة تسع وتسعين وألف ، وتوفي سنة اثنتين ومائة وألف هجرية. يُنظر: ترجمته في البدر الطالع للشوكاني ، ٢ / ١٣٣ -١٣٩ ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٤٨هـ .

(٣) محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، سبل السلام ، ٤ / ٣٩٢ ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

(٤) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص٢٥٣ .

(٥) مصطفى السباعي ، أخلاقنا الاجتماعية ، ص٨٤ . بتصرف.

(٦) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص٢٥٣ .

والمخاصمات المدمِّرة لكيان الفرد والمجتمع؛ لذلك حذَّر الرسول ﷺ فقال: (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**) قلنا: بلى، قال: (**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**)، وكان متكئاً فجلس، فقال: (**ألا وقول الزور، وشهادة الزور**) فما زال يكرِّرها حتى قلنا ليته سكت (١).

فأنت ترى التركيز الشديد على الكذب؛ تحذيراً منه؛ لأنه وسيلة وطريق يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، قال ﷺ: (**إن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب حتى يُكتب عند الله كذَّاباً**) (٢).

وقد قال بعض الحكماء: «كل ذنب يُرجى تركه بتوبة، أو إنابة ماعدا الكذب، فإنَّ صاحبه يزداد على الكبر، فقد رأينا شارب خمر أقلع ولصاً نزع ولم نرَ كذاباً رجع» وعُوتِب كذَّابٌ في كذبه فقال: «لو تغرغرتَ به، وطعمتَ حلاوتَه لما صَبَرْتَ عنْهُ واللهُ الهادي» (٣).

فالكذب طليعة الرذائل المدمرة لكيان الفرد والمجتمع، فهو من أعظم عوامل الإفساد بين الناس؛ ولهذا يجب على المسلم أن يتجنَّب الكذب ويبتعد عنه، ويفرَّ منه فراره من الأسد.

[٢] الغيبـــة:

(أ) **معناها لغة:** أن يَذكر الإنسان غيره بما فيه من عيب، من غير أن يحوج إلى ذكره (٤).

(ب) **معناها اصطلاحاً:** لقد أوضحت السُّنَّة النبوية المعنى الشرعي للغيبة، كما جاء في الحديث النبوي: (**أتدرونَ ما الغِيبةُ؟**) قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال:

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري رقم (٢٦٥٤)، ومسلم رقم (٨٧).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري رقم (٥٧٩٢)، ومسلم (٢٦٠٦٧).

(٣) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٢٥٦.

(٤) الاصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٢٨٢.

ذِكْرُكَ أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كانَ في أخي ما أقولُ ؟ ، قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَهُ ، وإن لم يكن فيه فقد بَهتَّهُ) (١) .

والغيبة تعني: ذكر المرء بما يكره سواءً كان في بدن الشخص ، أو دينه ، أو دنياه، أو نفسه ، أو خُلُقه ، أو ماله ، أو ولده ، أو زوجته ، أو خادمه ، أو حركته ، أو طلاقته ، أو عبوسه ، أو غير ذلك ، مما يتعلق به ذكر سُوءٍ ، سواءُ ذُكر باللفظ ، أو بالرمز، أو بالإشارة (٢) ، فالغيبة داء عُضال وخُلُقٌ ذميم، يمقتها الشرع كل المقت ، ويبغضها العقل الناضج والعرف السليم، ويأباها المجتمع النظيف، وهي – بلا شك – مرضٌ اجتماعي خطير وجسيم، وأثرها مُدمِّر ، وهي مُحرَّمة ، وأدلةُ تحريمها كثيرة من الكتاب والسُّنَّة (٣) .

ونحن هنا لا نريد أن نورد أدلة تحريمها ولا حكمها ، وإنما نريد أن نبيِّن ضررها في إفساد ذات البين، فالمغتاب أشبه باللصّ الذي يستحق قطع يدهُ بسبب أخذه المال خفية ، والمغتاب يتكلم على أخيه في غيبته وعند عدم حضوره فكان بإمكانه أن يلاقي خصمه في وضح النهار فيعاتبه ، أو حتى يواثبه، وكان في إمكانه أن يكيل له الصاع صاعين ـ هكذا ـ في معركة تدور رحاها على أرض مكشوفة ، وفي ظروف يتمكن فيها المشتوم من الدفاع عن نفسه ، أمام غريمٍ ينتهب سمعته ، أو يغتصبُ حقه في العيش الكريم ، لكن المغتاب يفضل أن يخوض معركته في الظلام ، وفي غياب الخصم مؤثراً أن يطعنه من الخلف بدل أن يصارح خصمه ، أو صديقه ، أو من اختلف معه في الرأي بما فيه من العيوب ، فهو لا شك سيتحدث أمام آخرين ، وهؤلاء الآخرون ربما أوصلوا ذلك الكلام الذي يكرهه ويعرف ما تحدث به خصمه ،

---

(١) خرجه الإمام مسلم (١ / ٢٠٠١) برقم (٧٠ / ٢٥٨٩).

(٢) محمد بن إسماعيل الصنعاني ، سبل السلام ٤ / ١٥٨٣ .

(٣) قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢]
وقال ﷺ : (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمانُ قلبه ، لا تَغْتَابوا المسلمين ولا تَتَّبعوا عوراتهم ، فإنه من اتَّبَعَ عوراتِهم يتَّبِعُ اللهُ عَوْرَته ، ومن يتَّبع اللهُ عورتَهُ يفضحْهُ في بَيْته) رواه أبو داود ، ٤ / ٢٧٠ ، برقم (٤٨٨٠).

فتثور المعركة من جديد في صدر صاحبه المشتوم ، وتحتدم المعركة ، ويشتد النزاع والخصام ، وتفسد المودة، وتزداد العداوة ، ويهجرُ كلُ صاحبٍ صاحبه ، وسبب ذلك الغيبة المذمومة المفرِّقة للأفراد والجماعات والأحزاب والأصدقاء والخلان .

[٣] النميمة :

(أ) معناها لغة : هي الوشاية ، قال الله تعالى :﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ [القلم:١١] ، وأصل النميمة : الهمس والحركة الخفية [١] .

(ب) معناها اصطلاحاً : النميمة : نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد بينهم [٢] .

النميمة : هي السعي بين الناس بالإفساد وتحريض الناس بعضهم على بعض ، والإيقاع بهم وشحن قلوبهم بالعداوة والضغينة [٣] .

وبهذا يتضح أن النميمة إنما هي نتاج من فساد الخُلُق وخسة النفس ؛ لأنها مصدر الفرقة بعد الألفة، والبغضاء بعد المحبة، والعداوة بعد المسالمة . فبها تُقطّع العلاقات ، وتُمزّق أواصر المحبة ، وتجلب لصاحبها العناء وكره الناس له .

قال رسول الله ﷺ :(**شرُّ عباد الله : المشَّاؤون بالنميمة ، المفرِّقون بين الأحبَّة ، الباغون للبُراء العيب**) [٤] ومن هنا تنبع خطورة النَّمَّام ، وقد قالوا : « الذي يعمله النَّمَّام في ساعة لا يعمله السَّاحر في شهر » [٥]، فالنميمة لا تترك مودة إلا أفسدتها ، ولا ضغينة إلا أوقدتها ، فهي تهتك الأستار ، وتفشي الأسرار ، وتُورِث الضغائن ، وترفع المودة ، وتجدِّد العداوة ، وتبدِّد الجماعة ، وتهيِّج الحقد وتزيد الصد، فالنميمة تزرع الخصام والشقاق والعداوة وتُفسِد ذات البين .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص٥٠٦ .

(٢) النووي ، شرح صحيح مسلم ، (٢ / ١١٢).

(٣) عبد الرحمن حبنّكة الميداني ، الأخلاق الإسلامية ٢ / ٢٤٦-٢٤٧ ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

(٤) رواه أحمد ، بسند حسن ، يُنظر: صحيح الأدب المفرد للألباني ، رقم (٣٢٣) .

(٥) أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص٢٢٧ ، دار الفيحاء ، عمّان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .

[٤] زلات اللّســـان :

اللّسان : هو ذلك العضو الذي ينطق به الإنسان ، ويعبّر عما في فؤاده بالقبول ، أو الرّد ، فاللسان عنوان الإنسان ، يترجم عن مجهوله ويبرهن عن محصوله ؛ (ولذلك قيل : « ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمةٌ مهملة ، أو صورة ممثلة » وقيل : « المرء مخبوء تحتَ لسانه ») [١] ، وقال الشاعر :

لسـان الفـتى نصفٌ ونصفٌ فـؤاده فلم يبق إلا صـورةُ اللّحمِ والدّمِ [٢]

وقيل : « لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام فكّر ، فإن كان له قال وإن كانت عليه سكت » ، وقيل: « الجاهل من وراء لسانه فإنْ هَمَّ بالكلام تكلمَّ به له ، أو عليه » [٣] .

فاللسان سلاح ذو حدّين ، يقرّب أو يُبعّد، يؤلّف أو يفرّق ، يُصلح أو يُفسِد ، وقد يثير الفتن ويؤجّج الصراع ، وقد يهدّئ الفتن ويُطفئ الصراع .

فاللسان من أخطر الأعضاء في جسم الإنسان ، وبسببه تقوم الحروب بين الأمم والشعوب ، وبين القبيلة والأخرى،وبين الصديق وصديقه ، وبين الأخ وأخيه ، وبين الجار وجاره، وبسببه تتقاطع الأسر ويهجر بعضها بعضاً ، فاللسان كما قال الشاعر :

وجـرح السـيف تُدمِلُه فـيـبـرأ ويبقى الدهر ما جرح اللسان [٤]

فالكلمة التي تخرج من اللسان ينبغي للمتكلم(أن يراعي مخارج كلامه بحسب مقاصده وأغراضه، فإنْ كان ترغيباً قرنه باللّين واللُّطف ، وإن كان ترهيباً خلطه بالخشونة والضعف)، فإنَّ لينَ اللفظ في الترهيب ، وخشونته في الترغيب خروج عن موضعها [٥] ، هذا في حال التبليغ والدعوة ، وأمّا ما يتكلم به الإنسان في حديثه

---

(١) الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ص٢٢٨ .

(٢) حسن الكرمي ، قول على قول ، ٢ / ٢١١ ، البيت نسبه الجاحظ في البيان والتبيين لزهير في معلقته .

(٣) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، وضع حواشيه موفق شهاب الدين ، ١ / ١٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٨ .

(٥) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص٢٧٣ .

مع الناس، فإما أن يكون كلامه مصلحاً بين الناس ، أو مفسداً ، واللسان له مساوئ لفظية ، قال رسول الله ﷺ : (**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيَّن فيها يزِلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق**) [١] ، وقال ﷺ : (**وهل يكبُّ الناسَ في النارِ على وجوههم ، أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**) [٢] .

فكل كلمة يتلفظ بها المرء تُكتب لـــه، أو عليه، قـال تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾** ﴾ [ق :١٨] ، وآفات اللسان اللفظية المفسدة بين الناس كثيرة، وليس هنا مكان تفصيلها .

[٥] الجدال والمراء :

الجدال هومراجعة الكلام وذكر الحُجج والشِّدَّة في تقريرها، قال ابن فارس[٣] : « (جـدل) الجيم والدال واللام أصلٌ واحـدٌ ، وهو من باب استـحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام » .

والجدل في الشرع جاء على معنيين : أحدهما محمود ، وهو ما كان في تقرير الحق وباستعمال الأدب، قال تعالى :﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل:١٢٥] .

والثاني : مـذموم وهو ما كان بسوء أدب ، أو بجهل ، أو في نصرة باطل ، قال تعالى : ﴿ **وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ** ﴾ [غافر:٥] .

وجرى استعـمال الجدل في اصطلاح أهل المناظرة على معنى إلزام الخصم سواءً كان بحق ، أو باطل [٤] .

وقد ورد المراء في الشرع بمعنى الجدال بالظنون الكاذبة والتخرُّصات الباطلة، قال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾** ﴾ [مريم:٣٤] .

---

(١) البخاري ٤ / ١٨٧ برقم (٦٤٧٧) .

(٢) الترمذي ٥ / ١٥ برقم (٢٦١٦) ، واحمد في المسند (٥ / ٢٣١) ، حديث صحيح ، صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢ / ٩١٣) برقم (٥١٣٦-١٦٤٣) .

(٣) أبو الحسن أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ١ / ٤٣٣ .

(٤) يُنظر : الفقيه والمتفقه ١ / ٣٠ ، قام بتصحيحه إسماعيل الأنصاري ، المكتبة العلمية ، بدون تاريخ ورقم الطبعة ، كشاف إصطلاحات الفنون ١ / ٢٣٢ .

وقال ابن الوزير [١] : « المراء: ما يغلب على الظن أنه يهيِّج الشَّر ، ولا يقصد به صاحبه إلا حَظَّ نفسه في غلبة الخصومة [٢] .

وقد ورد النهي عن الجدال والمراء وذمِّه ، قال تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً ﴾ [الزخرف:٥٨] .

وعن أبي أمامة [٣] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**ما ضَلَّ قومٌ بعد هُدى كانوا عليه ، إلا أوتوا الجدل**) [٤] ثم تلا : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً ﴾ [الزخرف:٥٨] .

والغرض من جدالهم إقحام الآخر وتعجيزه، وتنقيصه بالقدح في كلامه ، ونسبته إلى القصور والجهل فيه [٥] ، فقصده اللَّجاج لا الحجاج ، ومراده مباهاة العلماء ، أو يماري السفهاء، كما قال النبي ﷺ : (**من طلب العلم ليجاري به العلماء ، أو ليماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار**) [٦] .

فمن خلال هذه النصوص الشرعية نجد أن : الجدال مكروه للعلماء الألباء فكيف للجهال الأغبياء ؟ ألا ترى أنه تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥] . فلم يطلق له جدال مخالفيه حتى قيَّده بالأحسن [٧] .

ومما لا شك فيه أن الجدال يورث العداوات ويحرك في النفوس الحقد ويذكي الحسد الذي يتمنى صاحبه زوال النعمة عن خصمه ومُناظِره ، وهذه فطرة في

---

(١) ابن الوزير هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الوزير ، مؤرخ يمني سكن أواخر أيامه في صَعْدة ، ولد في ٩٢١هـ ، وتوفي سنة ٩٨٥هـ . يُنظر : ترجمته في الأعلام للزِركْلي ١ / ١٦١ .

(٢) محمد بن إبراهيم الوزير ، العواصم والقواصم في الذَّب عن سُنَّة أبي القاسم ، ٣ / ٣٣٨ ، حققه شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

(٣) صُدي بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو أمامة : صحابي توفي سنة ٨١هـ ، كان مع عليّ في صفين ، وسكن الشام ، فتوفي في حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام ، له في الصحيحين ٢٥٠ حديثاً . يُنظر : ترجمته في الأعلام للزِركْلي ٣ / ٢٠٣ .

(٤) صحيح ، سُنن الترمذي بتصحيح الألباني ، ٣ / ١٠٣ ، وقال : الحديث حسن .

(٥) الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ٣ / ١٤٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

(٦) رواه الترمذي ، رقم ٢٦٥٤ ، وهو حسن ، كما قال الألباني ، رقم (٢٨٠٥) ، يُنظر : صحيح الترغيب ، رقم (١٠٤) .

(٧) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ، المعروف بالراغب الأصبهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ص٢٥٩ .

الإنسان ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ [الكهف : ٥٤] ، فما ترى مجادلاً إلا وأبدى غيظه وحقده وانتفاخ أوداجه، واحمرار وجهه واضطراب حركته وتلعثم لسانه ، بل ربما تخرج من فمه ألفاظ سيئة وبذيئة ؛ ولهذا ينبغي للمسلم أن يتجنب الجدال والمراء ؛ ليسلم من العداوات والخصومات .

[٦] المـــزاح :

ما أجمل المسلم في الحياة حينما يجمع مع الجد – الذي يسعى إليه – روح الدعابة وفكاهة الحديث ، وعذوبة المنطق ، وطرافة الحكمة !! .

وما أحسنه وأكرمه حينما يملك القلوب بجاذبية حديثه ، ويأسر النفوس بلطيف معشره ، وكريم مداعبته !! .. ذلك لأنَّ الإسلام بمبادئه السَّمحة يأمر المسلم أن يكون ألفاً مألوفاً بسّاماً مرحاً خلوقاً ، كريم الخصال ، حميد الفعال، حسن المعشر .. حتى إذا خالط الناس ، واجتمع بهم رغبوا به وانجذبوا إليه، والتفوا حوله ، وهذا غاية ما يحرص عليه الإسلام في تربية الأفراد ،وتكوين المجتمعات ، وهداية الناس [١] ، والمزاح إذا كان على الاقتصاد محموداً ، فقد روي عنه ﷺ أنه قال :(**إني لأمزح ، ولا أقول إلا حقاً**) [٢] .

وروي عنه كلمات مازح بهن ، روى الترمذي[٣] وأحمد عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستحمله ـ أي يطلب منه دابّة ـ فقال له ﷺ : (**أنِّي حاملُك على ولدِ الناقة**) (ظنَّ الصُّغير) فقال : يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة ؟ ، فقال : (**وهل يلدُ الإبلَ إلا النوق**) [٤] ، وقال سعيد بن العاص [٥] لابنه: « اقتصد في

---

(١) عبد الله ناصح علوان ، تربية الأولاد في الإسلام المجلد الأول ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، ص٤٥٢ .

(٢) رواه الخطيب عن أنس رضي الله عنه ، كشف الخفاء ،١/ ٢٣٤، حديث (٧١٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

(٣) الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، الحافظ العلم ، الإمام البارع بن عيسى السلمي ، من أئمة علماء الحديث وحفّاظه ، ولد حدود سنة ٢١٠هـ ثم ارتحل سنة ٢٧٩هـ . يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٧٠ . الأعلام للزِركْلي ، ص٣٢٢ .

(٤) صحيح رواه أبو داود٣/٩٤٣ والترمذي .ينظر :صحيح أبي داود رقم(٤٩٩٨)،وصحيح الترمذي رقم(١٠٧٦).

(٥) سعيد بن العاص بن أمية ، ولد سنة ٣هـ ، وتوفي سنة ٥٩هـ ، صحابي من الأمراء الولاة القائمين ، ولأه عثمان الكوفة ، وهو شاب ، اعتزل فتنة الجمل وصفين ، وكان قوياً فيه تجبر وشدة ، سخياً فصيحاً . يُنظر ترجمته في الأعلام للزِركْلي ٣ / ٩٦ .

مزاحك فالإفراط فيه يُذهب البهاء ويُجرِّئ عليك السفهاء ، وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخالطين ، ولكن الاقتصاد فيه صعب جداً ، لا يكاد يوقف عليه ؛ ولذلك تحرج عنه أكثر الحكماء ، حتى قيل: المزاح مسلبة للبهاء، ومقطعة للإخاء ، وفحل لا ينتج إلا الشر » [١] . والمزاح إزاحة عن الحقوق ، ومخرجٌ إلى القطيعة والعقوق ، يصمُ المازح ويؤذي المُازَح ، فوصمة المازح : أن يذهب عنه الهيبة والبهاء ويجري عليه الغوغاء والسُّفهاء ، وأما أذية الممازَح ؛ فلأنه معقوق بقول كريه وفعل ممضّ ، إن سكت عنه أحزن قلبه ، وإن قابل عليه جانب أدبه ، فحُقَّ على العاقل أن يتَّقيه وينزِّه نفسه من وصمة مساويه [٢] ، فكم من نزاع كان سببه المزاح ، سواء كان المزاح باللسان أم بالإشارة والحركة ، أو بالسلاح ، أو بآلة حادة ، أو غير ذلك .

فنجد الصديق يقتل صاحبه بالسلاح ، وعندما تقع الجريمة يقول: كنت أمازحه؛ عند ذلك يدخل الشيطان فيوقع العداوة والبغضاء ، ويعمِّق الكراهية بين الإخوة والأصدقاء ، ويذكي نار الفتنة ويزيدها اشتعالاً ، ويوغر الصدور ويجعلها في حالة غضب وهيجان ، وهذا كله سببه المزاح الثقيل .

وأثقل المزاح ما كان بالسلاح ؛ ولذلك عدَّه ابن حجر [٣] الهيثمي من الكبائر إذا علم أنه قد يوقع إتلاف النفس [٤] ، فتحريم الإشارة بالسلاح ليس خاصاً بالجد دون الهزل كما يفهمه كثير من الناس وخاصَّة في المناطق التي يكثر فيها حملِ السلاح كالجنبية (الخنجر) والبندقية ، وقد نجح الشيطان في التفريق بين الناس وزرع الخصام والشقاق والتباغض والتحاسد والقطيعة بسبب المزاح بالسلاح ، فكم من قتيل قُتِل بسبب هذه الممازحة غير الجادّة كما يقولون ؟! أما في حالة الجد فإنه

---

(١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ص٢٨٥ .

(٢) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص٢٩٨ .

(٣) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المشهور بابن حجر ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان بفلسطين ، ولد في القاهرة عام ٧٧٣هـ ، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ، رحل إلى اليمن والحجاز وغيرها للسماع ، وأصبح حافظ الإسلام في عصره ، توفي سنة ٨٥٢هـ في القاهرة ، الأعلام للزِركْلي ١ / ١٧٨ .

(٤) الزواجر في النهي عن اقتراف الكبائر ، ٢ / ١٥٩ .

يُكلَّف بدفع غرامة مالية تسمى « دية السلامة » ، « فإنَّه في حالة قيام أحد الأشخاص بتهديد شخص آخر عن طريق إطلاق النار عليه ولكن دون أن يصيبه بأذى فإنَّ العرف يحكم على الشخص الذي قام بذلك بدفع دية السلامة » وتُقدَّر بنصف الدية العادية [١] .

وفي خاتمة المطاف، فإنَّ هناك أسباباً وعوامل كثيرة تعمل على إفساد ذات البين ، وبثّ الفرقة والاختلاف وتعميق روح الكراهية ، وزرع الفتن والحروب بين الناس كالغل [٢] والحقد [٣] والحسد [٤] والتجسس [٥] ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا** ﴾ [الحجرات:١٢] ، وسوء الظن ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ [الحجرات:١٢] ، وقال ﷺ : (**إياكُم والظَّنَّ فإنَّ الظَّنَّ أكذب الحديث**) [٦] .

والسُّخرية والهمز واللَّمز والتَّنابز بالألقاب ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾** ﴾ [الحجرات: ١١] .

والغش ، والغدر ، والخداع ، والمكر ، قال رسول الله ﷺ : (**مَنْ غَشَّنا فليسَ منَّا**)[٦]، وقوله ﷺ : (**لكلِّ غادرٍ لواءٌ يوم القيامة ، يُقال : هذه غدرة**

---

(١) فضل أبو غانم ، البنية القبلية في اليمن ، ص٢٨٩ .

(٢) الغل : العداوة ، الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص٦١٠ .

(٣) والحقد : إمساك العداوة في القلب ، القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق : مكتبة التراث، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، بدون دار نشر ، ص٣٥٤ .

(٤) الحسد : تمني زوال نعمة من مستحق لها أو تحولها إليه ، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها ؛ والدافع له البغض والكراهية لما يراه من حسن حال المحسود ، الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص٢٣٤ . والحسد منهي عنه ، ففي الحديث المتفق عليه (لا تباغضوا ولا تحاسدوا...) أخرجه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه ، الفتح ، ١٠ / ٤٩٢ رقم (٦٠٧٦) ، كتاب الآداب ، باب الهجرة .

(٥) هو تتبع الخبر، والجاسوس: من يتجسس الأخبار ليأتي بها ، المعجم الوسيط ، مجموعة من المؤلفين ١ / ١٢٣ .

(٦) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، الفتح ١٠ / ٤٨١، رقم ٦٠٦٤ .

(٧) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ١ / ٩٩ رقم (١٠١) ، كتاب الإيمان .

فلان) [١] ، وفي الحديث القدسي ، قال الله تعالى : (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجلٌ أعطي بي ثم غدر) [٢] .

والتباغض والتدابر والهجر ، وفي الحديث : (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً) [٣] ، وقال ﷺ : (لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيُعرض هذا ويُعرِض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسّلام) [٤] .

وكذلك ما يزرعه الشيطان ويُحْدِثُه بواسطة الخمر والمخدرات ، فمن شأن الشيطان تفكيك الأسر المتحابَّة المتآلفة ، فيزرع بينها العداوة والبغضاء ، قال ﷺ : (إنَّ إبليس قد يئس أن يعبده المُصلّون ، ولكن في التحريش بينهم) [٥] وهذا دأبه وديدنه ومهمته في هذه الحياة ، فهو يثير الفتن ويشعل النار في قلوب المتخاصمين ، فيبغضهم بعضهم إلى بعض، فكم زرع الخمر بين المخمورين ولاعبي الميسر ، وكم من خصام نشب بسبب ذلك ، وسالت دونه الدماء، وتقطعت بسببه الأرحام، وتفرقت الجماعات، وما زالت المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تنتج عن الخمر والميسر تتصدر قائمة المشكلات المستعصية في الدول والمجتمعات البعيدة عن منهج الله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩١] .

وهناك أسباب أخرى غير مقصودة في الغالب ، كحوادث السيارات والتدافع في أماكن الزحام والطرقات .

وكذلك البلاغات الكاذبة والتسرُّع ، والانفعال وسوء فهم كلام الآخرين ، وعدم التَّبَيُّن عند وصول النبأ والخبر من الخصم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر ﷺ ، ٦ / ٢٨٣ رقم (٣١٨٨) .
(٢) التجريد الصريح للزبيدي ، ص٢٢٥ ، رقم الحديث (١٠٤٥) .
(٣) أخرجه مسلم ٤ / ١٩٨٣ رقم (٢٥٥٩) كتاب البر والصلة ، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر .
(٤) أخرجه البخاري من حديث أبي أيوب الأنصاري ـ ﷺ ـ (الفتح) ١٠ / ٤٩٢ رقم ٦٠٧٧ .
(٥) رواه مسلم ، رقم ٢٨١٢ .

جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

[الحجرات: ٦] .

فكل ما ذُكر سابقاً عوامل من عوامل الفساد والإفساد ، وزرع الخلاف والشقاق والخصومات ، وإفساد ذات البين ، والمسلم مدعو أن يعمل على التآلف والترابط والاعتصام ، ونبذ الخلاف وإصلاح ذات البين .

obeikandl.com

المبحث الرابع

العصبيـــة

العصبية في اللغة : مشتقة من " العَصْب " وهو الطَّيُّ والشَّدُّ (١) .

وفي الاصطلاح : يقول الأزهري : "والعصبية : أن يدعو الرجل إلى نعرة جاهلية ، والتألب معهم على من يناوؤن ظالمين كانوا أو مظلومين (٢) .

وهي أنواع : التعصُّب للمذهب والقبيلة ، أو الحزب ، أو الجماعة ، أو للرأي ، أو للبلد ، أو التخصُّص العلمي والانتماء النقابي ، والخطأ الذي يقع فيه هؤلاء المتعصِّبون الاعتقاد بوصولهم إلى الحقيقة النهائية التي تدفع بهم إلى الالتزام الكامل برأي ، أو مذهب ، أو جماعة ، أو قبيلة فيما يقبل النظر والتأمُّل (٣) .

وإليك بعض هذه الأنواع :

[١] التعصُّب المذهبي :

من الأسباب التي عملت على تمزيق وحدة الأمة التعصب المذهبي الضيق ، ونقصد بهذا المصطلح : اتخاذ الناس مذهباً فقهياً واتباعه والتعصب له ، واعتبار ما عداه باطلاً .

وعلى هذا الأساس صارت المذاهب الفقهية وسيلة للتفرُّق عند بعض المتعصبين الجهلة ، بعد أن كانت ولازالت مدارس لنشر العلم والفقه والمعرفة، إلا ما شذَّ من بعض متعصبي المذاهب وجُهَّالهم، الذين ينظرون إلى آرائهم بأنها هي الحق وغيرها الباطل،وهي الصواب وغيرها الخطأ الصريح، مما يثير النزاع والشقاق ويولِّد الأحقاد ، وهذا كله يعود إلى جهل عميق ، وتعصُّب ذميم لا يرضى الله عنه، ولا يرتضيه

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ٤ / ٢٩٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٦٠٦ .

(٣) محمد بن صالح بن يوسف العلي ، إنصاف أهل السُّنَّة والجماعة ، مطبعة الأندلس للطباعة والنشر ، السعودية ، جدَّة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ ، ص١٠٩ .

الأئمة أنفسهم إذْ كانوا آية في الإخلاص والتواضع وحسن الخلق [١] .

وهذا التعصب المقيت له دوافعٌ أملاها الهوى ، أو رغبات نفسية لتحقيق غرض ذاتي ، أو أمر شخصي ، وقد يكون الدافع للخلاف رغبة التظاهر بالنفس ، أو العلم ، أو الفقه ، وهذا النوع من الخلاف مذموم بكل أشكاله ومختلف صوره ؛ لأنَّ حظ الهوى فيه غلَب على الحرص على تحري الحق ، والهوى لا يأتي بخير فهو مطية الشيطان [٢] . فالمتعصِّب يميل إلى إثبات أنَّ الحق في مذهبه وأن كل ما ورد فيه هو الصحيح ويخطِّئ المذاهب الأخرى ، حتى أنَّ الذهبيَّ عابَ على الحافظ أبي حاتم بن خاموش قوله : « كل من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم » [٣] .

فالمتعصب تنحجب عنه الرؤية الموضوعية ، فلا يرى إلا مساوئ المخالف وأخطاءه ؛ فيندفع بحماس في إيثار التشنيع والتهويل والاستغراب والنقد اللاذع والتهويل ، فهذا الماتريدي يقول عن الإمام الشافعي [٤] عند حديثه عن الصلح على الإنكار فيقول : « ما صنع الشيطان من إيقاع العداوة والبغضاء في بني آدم ما صنع الشافعي ـ رحمه الله ـ في إنكاره الصلح على الإنكار » [٥] ، فهذا التشنيع على الإمام الشافعي يدل على التعصب المذهبي الذي وصل إلى حد التطرف ، وهذا يظهر على الأتباع . فمن ذلك : أن بعض الحنفية سمع رجلاً يقرأ الفاتحة وهو مأموم بجانبه في الصف ، فضربه بمجموع يده على صدره ضربة وقع بها على ظهره فكاد يموت ، وبعضهم كسر سبّابة مصلٍّ لرفعه إياها في التشهد [٦] ، وهذا ما نشاهده في بعض

---

(١) محمد أبو الفتح البيانوني ، دراسات في الاختلافات الفقهية ، ص١٥٣ ، مكتبة الهدى ، حلب ، شارع الوزير ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

(٢) طه جابر العلواني،آداب الاختلاف في الإسلام ،الطبعة السابعة،الدار العربية للعلوم،١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م ،ص٢٦.

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٨ / ٥٠٧ .

(٤) الشافعي ، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ، يلتقي نسبه بالرسول ﷺ ، ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ ، ومات في القاهرة . سير أعلام النبلاء ١٠ / ٥ . ويُنظر : الأعلام للزِركْلي ٦ / ٢٦ . يُنظر : أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٩ / ٦٣ .

(٥) علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني ، كتاب : بدائع الصنائع ، ٦ / ٤٠ .

(٦) عبد القادر الغماري ، أثر التعصب المذهبي على وحدة الأمة ، مجلة الأمة ، ع١٧ / ١٧ ، سنة ١٩٨٢م.

حوارات الناس ، أو كتاباتهم ، أو في بعض مساجدهم في اليمن وغيرها مِمَّا يؤدي إلى القتل وسفك الدماء .

والخلاف المذموم هو التعصب لهذه الاجتهادات،وعقد الولاء والبراء على أساسها، والإنكار على المخالف إنكاراً يقتضي تكفيره، أو تبديعه ، أو تفسيقه[١] مما يؤدي إلى الشجار والخصام والعداوة .

[٢] التعصب السياسي القبلي والإقليمي والدولي :

عندما يفهم الناس أن السياسة هي الكذب والخداع والمكر ، أو هي فن الكذب ، عند ذلك تحدث المراوغة والنفاق السياسي ، والسلوك غير الحضاري المؤدي إلى النزاع والشقاق ، والقتل وسفك الدماء والعداوات، والثارات بين القبائل والأسر ، وهذا انحراف بمفهوم السياسة الشرعية ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي**)[٢] فالسياسة في لغة العرب: « القيام على الشيء بما يصلحه »[٣] .

وأمَّا عند الفقهاء فقد عرَّفها ابن عقيل بقوله : « السياسة ما كان من الأفعال ، بحيث يكون الناس معه أقربَ إلى الصلاح ، وأبعد عن الفساد ، وإنْ لم يُشرعه الرسول ﷺ ولا نَزَل به وحي »[٤] فالسياسة هي إصلاح الشيء وتقويمه والعمل على استمراره .

والذي نقصد بيانه هنا : أنَّ التعصب السياسي المذموم الذي يهدم ولا يبني ، ويفرِّق ولا يجمع، ويشعل نار الفتنة ولا يطفئ نارها بل يتعصب الناس على الباطل وهذا هو المذموم الذي يمنعه الشرع ويحاربه .

---

(١) صلاح الصاوي، مدى شرعية الانتماء إلى الأحزاب والجماعات الإسلامية، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ-١٩٣م ، مطبعة المدينة ، ص١١٤ .

(٢) صحيح البخاري مع شرح فتح الباري ، ٦ / ٤٩٥ ، حديث رقم ٣٤٥٥ ، ط السلفية ، النووي ، شرح صحيح مسلم ١٢ / ٢٣١ .

(٣) لسان العرب ، لابن منظور ٦ / ١٠٧-١٠٨ .

(٤) يُنظر : ابن قيم الجوزية ، أعلام الموقعين ٤ / ٣٧٢ .

إذاً فالتعصب السياسي المذموم هو الذي يقوم على التحالف على الباطل وعلى ما يمنعه الشرع ، أما ما كان على طاعة الله ونصرة المظلوم والمؤاخاة في الله ، فهو المرغوب فيه[١] ، فإن كانوا قد زادوا على ذلك ، أو نقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم سواءٌ كان على الحق ، أو الباطل ، فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله ، فإنَّ الله ورسوله أمرا بالجماعه والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف ، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونَهَيا عن التعاون على الإثم والعدوان [٢] .

فالتعصب السياسي العدواني غير الأخلاقي هو أكثر التعصبات ضرراً ، فكم من دولة مستقلة ذات سيادة قد دُمِّرت وخُرِّبت جميع مقوِّماتها الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية ، وكم من قرية ، أو مدينة ، أو أسرة قد شُرِّد أبناؤها، وكم من عَالِمٍ ومفكِّر ومثقف وأديب ومخترع قد قُتِل نتيجة التعصُّب السياسي ، فالتعصُّب السياسي سواءٌ كان قبليّاً ، أو إقليمياً، أو دولياً يقضي على كل ماهو جميل ، بل يقضي على الأخضر واليابس، ويحوِّل الإنسان المكرَّم الحرَّ إلى عبد، وهذا ما قرأناه في كتب التاريخ وما نشاهده اليوم في فلسطين والعراق وغير ذلك ، فهذا التعصب على المستوى الدولي ، أمَّا التعصُّب على مستوى القبيلة ، فهو متوارَث جيلاً بعد جيل فهذا قول بعضهم :

« إن لقيت القتَّال وإلا فابن عمه » [٣] ، وهذا شاعر يتعصَّب لقبيلته « غُزِيَّة » ، فهو يوافق قبيلته ولا يخالفها مهما قررت ، سواء كانت على الحق أم على الباطل ولا يسأل فيما غوت ، أو رشدت ، فهو يقول :

وهل أنا إلا من غُـــزيَّة إن غـــوتْ غَـويتُ وإن تَرشُـد غُـزيَّة أُرْشُـدِ [٤]

فهو سيقف مع قبيلته ، سواءٌ كانت على الحق أم على الباطل ، فشعاره : « انصر

---

(١) صلاح الصاوي ، مدى شرعية الانتماء إلى الأحزاب والجماعات الإسلامية ، ص٤٣ .

(٢) مجموعة فتاوي ابن تيمية ، ١١ / ٩٢ ، طبع سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ،جمع وترتيب عبد الرحمن النجدي .

(٣) صالح الغشامي ، القتال والشجار بين القبائل وموقف الإسلام منه ، ص٤٢ ، مكتبة صنعاء ، ٢٠٠٣م .

(٤) للشاعر دريد بن الصمَّة ، ديوان الشعر العربي ، ١ / ١٧٢ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط ١٩٦٤م .

أخاك ظالماً ، أو مظلوماً » [١] على المفهوم الجاهلي ، وهذا ما نجده أيام الانتخابات الرئاسية والنيابية والمجالس المحلية والنقابية ، حيث يتكتل المرشَّحون في كتل متنافسة شديدة التنافس وفي جوٍّ مشحون متوتر يحدث فيه إطلاق النار والتهارش والمواجهات بالعصيِّ والحجارة والسلاح الأبيض، إلى غير ذلك مما يولد العداوات والمخاصمات ويورث الحقد والحسد .

٣- الثـــأر :

يقال ثار : القتيل وبه ثار : أخذ بدمه [٢] ، بمعنى أدرك ثاره منه فقتله ، والثار نظام جاهلي حيث لا سلطة تحول بين الموتور والجاني ، فتمنع من القتل والاقتتال .

فعندما يحدث اعتداء على فرد ، أو جماعة ، أو قبيلة ، فإن النفوس تثور للانتقام وردِّ الاعتداء بمثله ، أو أشدَّ منه ، فإن قوبل هذا الحنق والغضبُ من قبل الجاني ، أو أفراد قبيلته بالاعتراف (وبذل النقي) [٣] تطبيقاً للقاعدة « من بذل النقي حرم قتاله » [٤] .

وهنا يحرم على المعتدى عليه أخذ الثار بطريقة عشوائية ، وواجب الثالث الذي يحضر بين الخصمين من الأقسام الأخرى محاربة من أراد بعد بذل النقي المزيد عليه، وذلك بالأخذ على يده أولاً ، ثم كفُّه بالفعل ولو بقتاله [٥] ، وإليك مثالاً حيّاً ذكره الشيخ محمد بن يحيى بن علي السدمي ، قال : « إنَّ شخصاً أوقع بصديق له جناية أدَّت إلى قتله عند أن خرجا للصيد، ومع كل واحد سلاحه الشخصي وحدث أنَّ الجاني كان يتفقد بندقيته ، فانطلقت رصاصة منها أصابت مقتلاً من صديقه دون قصد ، فانطلق الجاني إلى عشيرة القتيل ، فحملوا الجثة واصطحبوا معهم ما يجب

---

(١) صحيح ، رواه البخاري رقم (٢٤٤٤) مع الفتح ٥ / ٩٨ .

(٢) إبراهيم انيس وآخرون ، المعجم الوسيط ط٢ ، ١ / ٩٢ .

(٣) النقي معناه : الاستقامة على الحق ، وهو إنصاف المعتدى عليه فيما يجبر النقص الواقع بسبب الاعتداء على وجه العموم واختيار العقوبة الواجبة المتعددة في جريمة ما ، كاختيار القصاص والدية بموجب العفو عن القصاص ، أو طلب الدية في الخطأ ، أو إسقاطها بالعفو عن الجاني .

(٤) محمد السدمي ، نظرية العقوبة في الشريعة والأعراف القبلية ، ص١٨٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٨١ .

دفعه إلى أولياء الدم ، وكان والد القتيل لازال حياً فدفعوا إليه بنادق فروع الدم ، والعقير [١] والجاني نفسه مع الوافدين من عشيرته، وعادةً قبل وصول أي وفد تردَّد أهازيج شعبية بحسب المناسبة ، التي يفدون من أجلها ، وقُرب قرية المجني عليه، انطلقت الأهازيج ، فعَلِم أبو المجني عليه : أنَّ الأمر جلل ، وما قيل في الزامل :

يشهد الله وَتَشْهَد سوُحكم والبلد ... لا وُدِّي أتَحَمَّل ولا وُدِّي ولَدْكُم يقتلوه
ماهَلْ لها زَلَّة ولا يَسْلَم من الزَّلات حَدْ ... والرأي عندك في الَّذي قد مات والحُي أنت أبوه

وكل ذلك أدى إلى إعلان العفو عن الجاني بسبب المسارعة في الاعتذار ودفع الواجب قبل أن تلحق التهمة بالجاني وعشيرته [٢] .

وهذا يحدث ـ أحياناً ـ فتتحمل القبيلة وأفراد العائلة دفع الأغرام بحسب نوعية الجريمة وحجمها، وبمدى صلتها بالقواعد والأحكام العرفية وبالأمور المتعلقة بشرف وكرامة القبيلة ، حيث تتكفل القبيلة التي ينتمي إليها الجاني بالدفاع عنه وتحمُّل المسؤولية بصورة جماعية عن الجريمة التي قام بارتكابها [٣] . هذا في حالة الاعتذار، وبذل النقي ، وقبول أهل المجني عليه ، وهذا ما تدعو إليه الشريعة الإسلامية، ولكن إذا حدث العكس بأن رفض الجاني، أو قبيلته الاعترافَ، ومنعت القاتل من المثول أمام القضاء العادل، أو المحكم ، بل قامت بحمايته ومنْعه من المثول ، أو رفضت القبيلة ، أو المجني عليه قبولَ الاعتذار ، عند ذلك تحدث النزاعات والحروب ، وتستمر الثارات لعدة سنوات ، فقد ذكرت جريدة الجمهورية [٤] :

« أنَّ محافظ ذمار عقد اجتماعين ناقش فيهما التقارير المرفوعة من اللجان الفرعية بالمديريات والتي تضمنت حصراً لقضايا الثار بمحافظة ذمار والتي تصل إلى سبع ومائة قضية تتركز في مديريات : "الحدأ" ، و" مغرب عنس" ، و" آنس" ، و" جهران " ، كما أكد المحافظ عبد الوهاب يحيى الدرة : بأنَّ هذه القضايا حدثت منذ

(١) يُعتبر في حكم الرسوم التي تدفع لقبول إجراء ـ نفياً أو إثباتاً ـ .
(٢) محمد السدمي ، نظرية العقوبة في الشريعة الإسلامية والأعراف القبلية ، ص١٨٢-١٨٣ .
(٣) فضل ابو غانم ، البنية القبلية في اليمن ، ص٢٥٩ .
(٤) جريدة الجمهورية ، العدد (١٣١١٤) سنة ٢٠٠٥م .

سنوات ، وبعضها منذ ما قبل الثورة [١] .

وهذا يدل على انتشار الثأر في البلاد ومواجهات قديمة تزيد على الأربعين سنة ، وهذا ما يحدث في أكثر مناطق اليمن : كهمدان والشولان بمحافظة الجوف وعمران وبيت الشايع .. لعدم وجود الدولة وضعفها ؛ ولهذا نجد عند عدم قبول أهل المجني عليه الاعتذار والنزول عند الصلح ، أو رفض الجاني الحق الواجب عليه تبدأ الحرب وتتربص كل قبيلة بالأخرى ، فأهل القبيلة يقومون بالتربُّص وأخذ الثأر حتى تنتقم من القبيلة الأخرى ، فإذا أهملت ، أو تقاعست عن حقِّها قلَّت هيبتها ، وأصبح من السهل الاعتداء عليها وعلى أفرادها ، وهنا تبادر القبيلة إلى الانتقام ولو من غير القاتل نفسه ، بل ربما قتلوا شخصاً بريئاً إلا أنه ينتمي لخصومهم ، وقد يذهبون لقتل شخص بعيد عن بلده وفقاً لمقولة « إن لقيت القتّال ـ بتضعيف التاء ـ وإلا فابن عمه » وهذه تتناقض مع قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤] .

والشاهد : أنَّ الشخص لا يتحمَّل تبعات غيره ، فالآيتان تمنعان الاعتداء على غير المعتدي ، لكن العصبية الجاهلية تجعل الغافل عرضة للأذى ، ومن ثم يصبح كل فرد في القبيلة التي ينتمي إليها الجاني مُعرَّضاً للانتقام بالثأر من القبيلة الأخرى ، مع أنَّ قواعد العرف تحرِّم ذلك ، فتقول القاعدة « وإذا حدث بين خمسين « بدنتين » فتنة ، ووقع قتل لكل أحد من الخمسين يدور لنقيضه « حقه » من هذا الذي نقصه « ارتكب القتل في حقه » على أعراف أهل الملازم .

تبين هذه القاعدة : أنه إذا وقعت فتنة بين قسمين من أقسام القبيلة ، أو بدنتين ووقع قتل بالطرفين فكل شخص يأخذ حقه من الشخص الذي ارتكب القتل بصورة شخصية [٢] .

---

(١) صالح الغشّامي ، القتال والشجار بين القبائل وموقف الإسلام منه ، ص٤١ .

(٢) فضل أبو غانم ، البنية القبلية في اليمن ص ٢٦٥ .

المبحث الخامس

الطمع في الأراضي والشّجَار عليها

أغلب ما يفتح نار الفتنة بين الناس ، ويكون مدعاةً للسبِّ واللعن ، والشدِّ والجذب والاقتتال ، ثم الوصول إلى أبواب المشايخ وعقال الحارات وأقسام الشرطة ، والمباحث والنيابات والمحاكم ؛ هو اختلافهم حول ملكية الأرض الفلانية من عدمها ، وكذا المساقي والممرات ، والشوارع والطرقات الموصلة إلى بعض المنازل ، وخاصة عندما يبنون عشوائياً (دون تخطيط) وهذه مسؤولية الجهات الرسمية ولكنهم – في أغلب الأحيان – لا يهتمون بذلك مما يؤدي إلى إفساد ذات البين . .

وكذلك ما يقوم به بعض المُلاَّك من بيع قطعة أرض لأكثر من شخص ، والمشتري لا يعلم أن هذه الأرضية قد بيعت لغيره إلا عند البناء ، أو عندما يعود إلى الجهات الرسمية لضبط البائع عليه وعلى غيره، لا يجد من يحاسب البائع المتلاعب ، بل ربما وجد من يدعمه ويناصره ، وقد توجد أرضية بيعت على أحد المتنفذين القادرين على امتلاك الأراضي بالقوة والسلطان – الجنود ، أفراد القبيلة – وهنا يصاب المشتري الأول بالحسرة وخيبة الأمل من عدم وجود المناصر والمنصف . وقد تشترك بعض الجهات المسؤولة بزرع نار الفتنة بين الناس بتأجير ماليس للدولة حق فيه ، أو ما يُسمى بالأملاك والأوقاف – وكم حدث من اقتتال ومنازعات وتباغض وتقاطع بين أفراد المجتمع والأسرة الواحدة .

وكذلك ما يحدث في كثير من المناطق اليمنية من حرمان بعض الورثاء من حقهم – وخاصة المرأة – التي تُحرم من نصيبها الشرعي من مورثها من أرض ، أو غيره.

ومن هنا أستطيع القول : إنَّ مشكلات الناس في مجتمعنا اليمني أغلب ما تكون حول الأراضي ؛ لغياب العدل والإنصاف والتخطيط المسبق في المدن الرئيسة والثانوية ، وترك الناس يبنون عشوائياً بسبب التداخل في الأراضي ، أو الاعتداء

عليها، والبسط من قبل المتنفذين، وكذلك الجهل بخطورة الاستيلاء على الأراضي ، وأن الرسول ﷺ قد حذَّرَ من هذا الفعل ، فقال : « **من أخذ شبراً من الأرض ظلماً ، فإنه يُطوَّقه يوم القيامة من سبع أرضين** »[1] .

(١) رواه البخاري ، كتاب المظالم ، باب ما جاء في سبع أرضين ، رقم الحديث (٣٠٢٦) ، ٣ / ١١٦٨ ، ضبطه ورقمه الدكتور مصطفى ديب البُغا ، دار ابن كثير ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ-١٩٧٨م .

obeikandl.com

المبحث السادس
تغييب الحـــدود

حرصت الشريعة الإسلامية في كل نظمها وتشريعاتها على توطيد الأمن وحماية المجتمع واستئصال كل ما قد يؤدي إلى انتشار الفوضى والاضطراب ، ولتحقيق هذا الغرض شُرعت عقوبات رادعة ؛ لمنع العابثين والمستهترين من التعدي على دماء الناس وأموالهم، وتحقيق الحياة الآمنة المطمئنة لجميع أفراد المجتمع يستوي في ذلك القوي والضعيف .

ورضي الله عن أبي بكر الصديق عندما قال : « والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أردَّ عليه (١) حقَّه إن شاء الله ، والقويُ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله » (٢) .

ولكن عندما يشعر الناس أن قضاياهم تضيع وأنهم لا يستطيعون ملاحقة الجاني ومتابعته وربما وبجرة قلم من القاضي يكون خروج الجاني بريئاً ، والمجني عليه مداناً ، وهذا ما عرفتُه من خلال عملي في السجن المركزي كمدير لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم التابع لجمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية ، حيث نجد أنَّ أكثر الملتحقين بالمدرسة هم القتلة ، فعندما نناقش بعضهم ما سبب قتلك لخصمك ؟ يقول : لقد حاكمته مدة طويلة وللأسف لم أجد من ينصفني فقمت بالقتل بعد صبرٍ طويل ومتابعة مستمرة ، حتى فقدت كل ما أملك » . تقول جريدة « الناس » تأكيداً لما يقوله السجناء في عددها (٢٩٩) بتاريخ ٥ / ٦ / ٢٠٠٦م ، الصفحة الرابعة : « هرباً من مماطلة المحاكم وإجراءات القضاء المعقدة قام أبناء قبيلة بني فلاح بمديرية الحدأ – محافظة ذمار يوم الثلاثاء الماضي بتنفيذ حكم الإعدام في أحد أبناء قبيلتهم

---

(١) والمعنى: حتى أرد عليه حقه ، يُنظر مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، باب الراء مع الواو ، ٢ / ٢٧٣ .

(٢) يُنظر : التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ، ٣ / ٥٧ ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

... وشهد تنفيذ الإعدام العشرات والمئات من رجال وشباب القرية ، هذا وكانت منطقة (يعر) وهي إحدى العزل التابعة لمديرية عنس (محافظ ذمار) قد شهدت قبل أكثر من عام حادثة مماثلة قام فيها عدد من عقال ووجهاء القبيلة بتنفيذ حكم الإعدام القبلي في أحد أبنائهم ، بعد أن كان قد ارتكب جريمة القتل وقطع الطريق ، وأعلنوا حينها أنَّ سبب قيامهم بذلك هو درء فتنة وشيكة قد تنشب في القرية إن لم يتم الإسراع في إعدام القاتل وإخماد الفتنة في مهدها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ [١] : « وكثير مِمَّا يوجد من فساد أمور الناس إنَّما هو لتعطيل الحد بمال، أو جاه ، وهذا من أكبر الأسباب التي تؤدي إلى فساد أهل البوادي والقرى والأمصار" [٢] ، فشرع الله الحدود لإصلاح حياة بني الإنسان ، فهو الذي خلق لهم الإرادات والطباع وجعل لكلٍ وجهة في الحياة؛ لذلك فهو أعلم بما يصلحهم ويدير شؤونهم ، فله في شرع الحدود حكمة بليغة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ، ومَنْ رضيَ فله الرِّضى ، ومن سخط فله السُّخط ؛ لذلك قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ﴾ [البقرة: ١٧٩] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ [٣] : « وفي الكتب المتقدمة » القتل أنفى للقتل « فجاءت هذه العبارة في القرآن أفصح وأبلغ وأوجز » [٤] .

على أن حِكَم مشروعية إقامة الحدود ومنها القصاص ليست منحصرة في المحافظة

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الإمام شيخ الإسلام ، كان آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان ، برز في جميع الفنون، جاهد المنحرفين عن الدين بقلمه ولسانه وسيفه ، ولد سنة إحدى وستين وستمائة ، توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة هجرية . يُنظر : ترجمته في : أبو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ، ١٤ / ١٢٥ ، النجوم الزاهرة ، ٩ / ٢٧١ ، الأعلام للزِركْلي ١ / ١٤٠ ، و أبو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ١٣-١٤ ، ص١٣٥ .

(٢) ابن تيمية ، السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية ، ص٩٧ .

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي ، أبو الفداء عماد الدين، مؤرخ ، فقيه، ولد سنة واحد وسبعمائة ، توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة هجرية. يُنظر : ترجمته في طبقات المفسرين ، ١ / ١١١-١١٣ ، شذرات الذهب ، ٦ / ٢٣١ .

(٤) تفسير بن كثير ، ١ / ٢١٧ .

على حياة الناس فحسب ، بل إنّ تحقيق العدالة بين الجاني والمجني عليه يراعى عند إيقاع هذه العقوبة، فكما حرم الجاني المجني عليه من التمتع بحياته ، وجب أن يُحرم الجاني من الحياة ؛ فيكون الجزاء من جنس العمل .

وليس من المستساغ عقلاً أن يُقتَل شخصٌ بغير وجه حق ثم يرى إخوتُه وأبناؤُه قاتلَهُ يسير طليقاً متمتّعاً بحياته دون أن يتمكّنوا من الاقتصاص منه ، مع عدم وجود مانع شرعي يمنع من قتله [١]،وفضلاً عن ذلك فإنَّ القصاص شفاء لغيظ أولياء المجني عليه ، والمراعاة للجانب النفسي لورثة المقتول أمر لابُدَّ منه لتهدأ نفوسهم ويزول غيظ صدورهم ؛ فيُمنعون من الانتقام الذي قد يتجاوز الجاني إلى كل من له صلة به [٢] .

(١) محمد أبو زهرة ، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي ص٢١٢ .
(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ١ / ٢٣٥ .

obeikandl.com

الفصل الثاني

وسائل إصلاح ذات البين

المبحث الأول : تفعيل دور المجتمع في إصلاح ذات البين .

المبحث الثاني : تفعيل دور المؤسسات التربوية في إصلاح ذات البين.

المبحث الثالث : الإعلام ودوره في إصلاح ذات البين.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

وسائـــل إصلاح ذات البين

وهذه الوسائل سواءً كانت شفهية ، أو سمعية أم بصرية ، أو مقروءة ، لابد أن تقوم بدورها ، وهي التي تعمل على توصيل رسالة إعلامية معيَّنة ، فوسائل الإعلام تشمل كلاً من الاتصال الفردي والخطبة والمحاضرة والندوة والمذياع والشريط المسموع (الكاست) والخيالة (السينما) والرائي (التلفزيون) والمسرح والكتاب والصحيفة والمجلة [١] والإنترنت وأجهزة الاتصال وغيرها ، وهذه الوسائل لو استُخدمت بحق في تعليم وتوجيه وإرشاد الناس بأهميَّة إصلاح ذات البين لعاش الناس في حب وإخاء وتآلف ولَضاق الخصام والشجار على مستوى الأفراد والجماعات والقبائل والدول .

وسوف أتكلم عن أهم هذه الوسائل وهي ما تسمَّى أيضاً بالوسائط ،وســوف تكون على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول

تفعيل دور المجتمع في إصلاح ذات البين

[١] الأســـرة :

أشار الرسول ﷺ في بعض أحاديثه إلى أنَّ الفرد إنَّما يُولد على الفطرة وتحدث عن دور أبويه ،حيث إنَّهما المسئولان المباشران عن توجيهه ؛ ليكون في المستقبل عضواً منتمياً إلى دين معيَّن [٢] ،فقال ﷺ :(**كل مولود يولد على الفطرة،فأبواه يهوِّدانه ،**

---

(١) محمد موفق الغلايييني ، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة ، ص٩٦ ، جدة ، دار المنارة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

(٢) أحمد محمد الخراط ، مدخل لتحصين الأمة ، العدد (٥٥) ، ص١٥ .

أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه)[١]،فالبيت إن أُحْسِن فيه تربية الأبناء، فإنَّ المجتمع الكبير سيستقبل الأعضاء الذين يُحسِنون إدارة وتوجيه دفة الحكم، فالبيت يتعلَّم فيه الصغير والكبير دروساً في الحب،أو في الكراهية ،والبيت هو العالم الأول الذي توضع فيه البذرة الأولى في تكوين العاطفة[٢]،فالأب عندما يكون قدوة في البيت فلا خصام في داخل الأسرة ولا شجار خارج البيت وإنَّما يعيش كل فرد من أفراد الأسرة في جو متسامح يتسم بالعفو عمن ظلمه وينبذ الخلاف ويكره الشقاق، فالبيت بيتٌ مسلم يتمثل سيرة المصطفىﷺ،وكذلك سيرة أتباعه وأصحابه ،فهو يتخلَّق بأخلاقهم ويسير بسيرتهم ، فهذه بعض أخلاق الرسول ﷺ وأصحابه مع خصومه .

فعندما ذهب إلى الطائف قام بالدعوة لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه ، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم ، فقالوا : يا محمد ، اخرج من بلدنا والحق بمَحَابك من الأرض وأغروا به سفهاءهم ، فجعلوا يرجمونه بالحجارة حتى إن رجليه لتدميان[٣] ، ورجع رسول الله ﷺ متجهاً إلى مكة بعد خروجه من الحائط كئيباً محزوناً كسير القلب ، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق عليهم الأخشبين ،قال النبي ﷺ:(**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ـ عز وجل ـ وحده لا يشرك به شيئاً**)[٤]،فهذه سماحته وعفوه وصفحه ﷺ مع خصومه ،بل شعوره أن الله سيخرج من أصلابهم شباباً يعبدونه وحده لا شريك له،فالأسرة هي المحضن ـ الحصن الأول ـ يقول الإمام علي[٥]

(١) متفق عليه ، رواه البخاري برقم (١٣٥٨) ، ومسلم رقم (٢٦٥٨) ، ورواه احمد في المسند ٢ / ٢٣٢ .

(٢) علي هود باعباد ، التربية الإسلامية فكراً وسلوكاً ، ص٣١٦ ، صنعاء ، مكتبة الإرشاد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م .

(٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، الوفاء بأحوال المصطفى ، ١ / ٢١٢ ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م ، مطبعة السعادة بمصر .

(٤) صحيح البخاري ،كتاب بدء الخلق،١/ ٤٥٨،مسلم باب (ما لقي النبي ﷺ من اذى المشركين والمنافقين) ٢/ ١٠٩.

(٥) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي،أبو الحسن أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين، أحد المبشرين العشرة بالجنة ، وابن عم النبي ﷺ وصهره ، أحد الشجعان الأبطال ، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء ، ولد سنة ٢٣ ق.هـ ، وتوفي سنة ٤٠هـ ، وله من العمر ٦٣ سنة . تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، عهد الخلفاء الراشدين للذهبي ، ص٦٢١ ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ، دار الكتاب، بيروت ، تحقيق : عمر عبد السلام تدموري ، الأعلام للزركلي ٤ / ٢٩٥ .

رضي الله عنه : (علموهم وأدبوهم) [١] .

فالأسرة هي الدرع الحصين التي يحتمي بها الإنسان عند الحاجة ويتقوى بها [٢]. فعلى الأسرة أن تتعلم كي تعلم أفرادها ، يقول الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه « تعلموا تعلموا ،فإذا علمتم فاعملوا » [٣] ، فالأسرة عليها أن تؤهل نفسها لتؤهل أبناءها .

[٢] المجتمـــع :

تتجدد مسؤولية المجتمع عند تربية أبنائه وتوجيههم إلى الخير أو الشر ، فهو الوسط الذي ينشأ فيه الأفراد ، ومن خلال تعاملهم مع بعضهم البعض ، يؤثّرون ويتأثرون سلباً ،أو إيجاباً ؛ لذلك فهو يؤثر على جميع الأفراد والجماعات المكوِّنة لهذا المجتمع ،وقد رُوي عن النبي ﷺ قصة القاتل الذي يبتغي التوبة من جرائمه السابقة ،ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم [٤] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه : (**...انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك ؛ فإنها أرض سوء**) [٥] .انظر كيف دلّه على البيئة الصالحة والمجتمع النظيف الطاهر العابد لربه، فالمجتمع يعمل على التأثير في الشخص سلباً ، أو إيجاباً بل المجتمع ربما يكون رادعاً ومؤثراً في سلوك الشخص ،فقد اتخذ رسول الله ﷺ المجتمع وسيلة لتأديب الرجل الذي كان يؤذي جاره،فقد ورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله: (إن لي جاراً يؤذيني) فقال: (**انطلق**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال ، ١ / ٤٥٩ .

(٢) يُنظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة (أسر) ١ / ٧٣ .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه ، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ، ١ / ١٠٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون رقم الطبعة وتاريخها .

(٤) مسلم : الإمام الكبير الحافظ المجود ، الحجه ، الصادق ، ابو الحسين بن مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد من كوشاذ القشيري النيسابوري ، صاحب الصحيح ، ولد سنة ٢٠٤هـ وتوفي في ٢٦١هـ . يُنظر : سير أعلام النبلاء ١٢ / ٥٥٧ . يُنظر : الأعلام للزِركْلي ٧ / ٢٢١ .

(٥) محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، خرج أحاديثه الدكتور مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ-١٩٧٨م ، اليمامة للطباعة والنشر ، ٣ / ١٢٨٠ ، رقم الحديث (٣٢٨٣٠) ، وأخرجه مسلم ، واللفظ له ، ١٧ / ٨٢ ، كتاب : التوبة .

فأخرِج متاعك إلى الطريق) فانطلق فأخرج متاعه ، فاجتمع الناس عليه فقالوا : (ما شأنك ؟) قال : لي جار يؤذيني فذكرت ذلك للنبي ﷺ **فقال : انطلِق فأخرِج متاعَك إلى الطريقِ** ، فجعلوا يقولون : (اللهمَّ العنْه ، اللهمَّ اخزه ، فبلغه ما قالوه : فأتاه فقال : ارجع إلى منزلك فوالله لا أؤذيك) [١] .

وفي هذا دليل على أن النقد الاجتماعي أسلوب من أساليب التربية. فالبيئة والمجتمع لهما تأثير في سلوك الأفراد بل وفي أذواقهم ، وأخلاقهم وحبهم وبغضهم ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبين تأثير البيئة في حياة المرأة وكيف كان تعاملها مع زوجها في مكة ، وكيف كان وضعها الاجتماعي ، فالمرأة في المجتمع المكي لا تجرؤ على رفع صوتها أمام زوجها ، أو مراجعته بعكس أختها في المجتمع اليثربي ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا على الأنصار إذا أقوام تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من آداب نساء الأنصار " [٢] وهذا دليل علي التغير الإيجابي؛حيث أن الإسلام جعل المرأة تحاور و تناقش، وهذا بخلاف ما يزعمه الغرب بأن الإسلام قيّد حرية المرأة. وهذا رسول الله ﷺ يرفض أكل الضب ؛ لأنه لم يكن في بيئته ومجتمعه فهو يعافه ، فعندما قُدِّمَ الضب بين يديه بيَّنَ سبب امتناعه عن الأكل ، فقال عندما سأله خالد بن الوليد [٣] : أحرام الضب يا رسول الله ؟ قال : **(لا ، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدُني أعافه)** [٤] .

فانظر كيف بيَّن الرسول ﷺ سبب امتناعه عن الأكل ،لأنه لا يوجد في مجتمعه ولم يتعوَّد على أكله ، فالبيئة تؤثر على الأفراد، فالإنسان ابن بيئته ، ولهذا وصف الله الأعراب بالكفر والنفاق ، فقال تعالى : ﴿**الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا**

---

(١) محمد بن إسماعيل البخاري ، الأدب المفرد ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، بيروت ، لبنان ، دار البشائر ، رقم الحديث (٦٨) ، ١ / ٢١٦ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ـ كتاب النكاح ، باب(موعظة الرجل ابنته لحال زوجها) ، ٩ / ٢٧٨ رقم ٥١٩١ .

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي الصحابي، أسلم قبل فتح مكة ، توفي سنة ٢١هـ بحمص في سوريا ، وقيل بالمدينة . الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢ / ٩٨ ، الأعلام للزركلي ٢ / ٣٠ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب: الذبائح والصيد ، باب (الصيد) ، ٩ / ٦٦٢ ، رقم الحديث ٥٥٣٦ .

حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [التوبة:٩٧] ، قال الشوكاني : " بُعدهم عن مواطن الأنبياء وديار التنزيل " (١) ، ووصف الرسول ﷺ رعاة الإبل ورعاة الغنم بأوصاف فقال : (**السكينة لأهل الغنم**) (٢) ، وقال رسول الله ﷺ : (**من سكن البادية جفا**) (٣) ،فلا شك أن الإنسان ابن بيئته ومجتمعه ، فإذا كان المجتمع متسامحاً متآلفاً ، يكره النزاع والخصام ، عند ذلك تجد أفراده يتصفون بهذه الصفات الجميلة ،وهذا معلوم ومشاهد من خلال المخالطة ، فابن القبيلة يختلف عن ابن المدينة ، فأبناء المدينة يختلطون بالنَّاس ويتكيَّفون معهم ويُحْسِنون التعامل ،يقول الرسول ﷺ : (**المؤمن الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**) (٤) .

والمخالطة تعني التربية والتعليم وتقويم سلوك الأفراد وإصلاحهم وإعادتهم إلى وحدة المجتمع إن أخطؤوا ؛ ولهذا طلب الرسول ﷺ من أفراد المجتمع أن يقاطعوا الثلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك (٥) .

[٣] المسجـــــد :

كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ بعد الهجرة بناء المسجد ؛ لأنَّ المسجد هو الذي يضم شتات المسلمين ، يجمعون فيه أمرهم ، ويتشاورون لتحقيق أهدافهم ، ودرء المفاسد عنهم، والتعاون لمواجهة المشكلات وصد العدوان عن عقيدتهم وعن أنفسهم وأموالهم (٦) بل كان مصدر إشعاع خُلُقي يتشبَّع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق وكريم الشمائل من خلال فصاحة الخطيب وقدرة تأثيره على السامعين ،

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، فتح القدير، ٢ / ٣٦٩ .

(٢) صحيح ، رواه البزار بلفظ السكينة في أهل الشاة ، يُنظر صحيح الجامع ، رقم ٣٦٨٩ .

(٣) رواه أبو داود ، رقم (٢٨٥٩ ، والترمذي ص ١١١ ، رقم الحديث (٢٨٥٩) .

(٤) رواه ابن ماجة ، ص٤٠٣٢ ، وصحيح الترمذي رقم (٢٥٠٧) .

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت ،كتاب :(المغازي) ، باب (حديث كعب بن مالك) ٨/١١٣ ، رقم الحديث ٤٤١٨ .

(٦) عبد الرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، ص١٢٠ ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

فالخطيب يحشد من الكلمات ما يمكنه من التأثير على السامعين وجذبهم عن طريق الإقناع بما يسوق من حجج وبراهين، والإمتاع بحسن اختيار الكلمات وجميل العبارات وملاءمة الإشارة ، والدقة في اختيار الموضوع الذي يشد اهتمام الناس ، مع حسن سمت الخطيب وجميل صوته وقدرته على إجادة فن التوصيل والفصل في الكلام [١] ، فهو يأتي إلى الغَضُوب الحَقُود الممتلئ الثائر الجريح فتعالج كلماتُهُ قلبه وتُداخِل نفسه وتَسُلُّ سخيمته وتُزيل ضراوته ، حتى تبرد حرارته ، وينطفئ لهبه ، ويموت غضبه ؛ فيعود حليماً صفوحاً مسامحاً [٢] ،فالمسجد مكان لإقامة المحاضرات والندوات والدروس العلمية والمواعظ الإيمانية التي تدعو النَّاس إلى التَّحابّ وسلامة الصدور، وإصلاح ذات البين،وكل ذلك من خلال كلام الله (تعالى) ومن خلال كلام رسوله ﷺ ، أو فعله وفعل أصحابه وأتباعه من أهل الفضل والكرم رضي الله عنهم جميعاً. و للإسف فإن المسجد عاد لا يؤدي دوره كما يجب ، فتجد الخطيب يكرر ما سمعه الناس مراراً ، وربما يقرأ من خطب ابن نباتة أو من خطب البيحاني ، وهذا ما سمعته في بعض المساجد من بعض أئمة المساجد من يدعون لدولة المماليك.

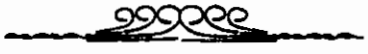

(١) علي عبد الحليم محمود ، فقه الدعوة إلى الله ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، ص١٦٩ .

(٢) عائض القرني ، المسك والعنبر في خطب المنبر ، ٢ / ١٣ ، مكتبة الإرشاد ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ .

المبحث الثاني

تفعيل دور المؤسسات التربوية في إصلاح ذات البين

[١] المنهج :

المنهج وسيلة المدرسة أو الجامعة ، أو أي مؤسسة تعليمية ، وُجد لكي يحقق أهداف تلك المؤسسة في الجوانب التربوية والمعرفية والنفسية والاجتماعية عن طريق الخبرات والنشاطات التي تُقدَّم للتلميذ من أجل تعليمه وتربيته [١] ، ولأهميته وجَّهَ إليه عدوُّنا اهتمامه وصوَّب سهامه ، فقد كان له في كل بلد إسلامي كيدٌ آثم يقضي على الثمرة المرجوة من التعليم، بعد اقتلاع القيم التي يغرسها في النفوس والعقول [٢] ، فالتعليم عمود النهضة وعمادها وذخر أي أمة وسندها ، فالأمة الإسلامية أمة العلم والتَّعلُّم ، إذ هي التي بدأ كتابها السماوي (القرآن الكريم) بكلمة (اقرأ) في أول ما أنزل على محمد ﷺ ، فالمنهج يغرس في المتعلم العلم والخلق والسلوك والإخلاص والأمانة ، لاسيما إذا تضمن نماذج من صور القرآن وسيرة الرسول ﷺ من خلال القصص والحكايات الصحيحة والواقعية ، يختار لهم من القصص الداعمة للحب والوفاء والألفة والتسامح وإصلاح ذات البين ونبذ الحقد والحسد والتباغض والتباين والاختلاف والمنازعات والمخاصمات ، ولذلك نجد أن القرآن الكريم والسنَّة النبوية قد رسخت معاني الحب والتسامح ، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصفح عن مسطح عندما سمع الآية تدعو إلى العفو [٣] . وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه عندما سمع الرسول ﷺ يخاطبه : (**إنك امرؤ فيك جاهلية**) [٤] ؛

---

(١) علي هود باعباد ، التربية الإسلامية ، ص٢٨٧ .

(٢) علي عبد الحليم ، فقه الدعوة إلى الله ، ١ / ١٠١ .

(٣) أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٢٨٧ ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م .

(٤) رواه البخاري، كتاب : (الإيمان) ، باب : (المعاصي من أمر الجاهلية لا يكفر صاحبها إلا بالشرك) ، الفتح ١ / ١٠٦ ، حديث رقم (٣٠) ، ومعجم كتاب الإيمان ، حديث رقم (١٦٦١) ، ص١٢٨٢ .

فيضع خده على الأرض ويطلب من أخيه وضع قدمه على خده ، فالمنهج الإسلامي له أبلغ التأثير في دعوة الناس إلى الصلح والتصالح .

[٢] المعلـــم :

تُعد مهنة التعليم من المهن ذات الأهمية القصوى في الحياة العامة ، والتربية والتعليم على وجه الخصوص لانفرادها بمسؤوليات وتبعات قد لا تتوافر في أيَّ مهنة أخرى ، ولتميزها بالتعامل الإنساني القائم على التأثير المتبادل بين الأفراد ؛ ولكونها عملية تهدف إلى التنشئة الاجتماعية السليمة للأفراد من كل الجوانب الجسمية والنفسية والعقلية والروحية،ولكونها الطريق لبلوغ أهداف المجتمع وآماله وتطلعاته ، وبها يمكن الإسهام في الحصول على ثقافة راقية تُسهِم في إعداد الأفراد للحياة الواقعية بكل صورها .

وإذا كانت مهنة التدريس تحظى بهذه المكانة الرفيعة في ميدان الحياة كلها ، فإنَّ المعلِّم الذي يوجِّه هذه العملية ويجعلها تسير في اتجاهها الصحيح لا يقل أهمية عن هذه المهنة ، فالمعلم يُعتبر الأساس [١] بل هو الدعامة الأساس لبناء المجتمع وتقدُّمه ، ولقد كرَّم الإسلام المعلِّم فاشاد به الرَّسول ﷺ حين أعلن عن نفسه أنه معلم فقال : **(إنما بعثتُ معلِّماً)**[٢]، فالمعلم مقامه عظيم حيث إنه وارث النبوة في مجال التعليم، قال تعالى :﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** (١٦٤) ﴾ [آل عمران :١٦٤] ، فشخصية المعلم لها أثر عظيم في عقول التلاميذ ونفوسهم ؛ وذلك لأنه يؤثر بمظهره وشكله وتعامله وحبه وبغضه وكراهيته وسلوكه الذي يبدو منه .

ومِمَّا يؤيِّد تأثر المتعلمين بشخصية المعلمين ما ذكره عقبة بن أبي سفيان لمؤدِّب

---

(١) سراج محمد عبد العزيز وزان ، التربية في مدرسة النبوة ، ص١٠٥ ، دعوة الحق ، السنة الحادية عشرة ، العدد ١٣٢ ، ذو الحجة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

(٢) سنن ابن ماجة ، ٢٢٥ .

ولده قوله : " ليكن أول صلاحك بَنيَّ إصلاحك لنفسك فعيونهم معقودة بعينك ، فالحَسَن عندهم ما فعلت ، والقبيح ما تركت ، وعلمهم كتاب الله ، ولا تُملّهم فيتركوا ، ولا تدعهم منهم فيهجروا " (١) .

وفي ضوء هذه الأهمية للمعلم ينبغي أن تتوافر فيه صفات خُلقية عالية وقدوة مثالية ، وجدٌّ ولين ، وحلم وتقوى وورع وإخلاص في العمل بحيث يكرِّس وقته وجهده لتعليم الطلاب معنى التسامح والعفو والصفح من خلال تذكيرهم بأخلاق النبي ﷺ ، وكيف كانت رحمته بالمؤمنين وبغير المؤمنين ، بل رحمته عمَّت الإنسان والحيوان والجماد ، وتذكيرهم بأروع الأمثلة التي وقعت للرسول ﷺ مع أصحابه وأعدائه، وكيف تعامل مع خصومه فضلاً عن أصحابه ، فهو الأب الحنون .

قال أحمد شوقي (٢) :

فـإذا رحـمـت فـأنـت أمٌّ أو أبٌ هذان في الدنيا هما الرحماء (٣)

وما أجمل المعلم حين يغرس في قلوب أبنائه روحَ المحبَّة والتسامح والعفو والصفح، ولين الجانب ونكران الذات ، ونبذ الخلاف والشِّقاق والنزاع والحسد والبغض والحقد والانتقام ، فالمعلم الناجح هو الذي يُصلِح النفوس ؛ لتستقبل الخير في هذه الحياة فإذا لم تَصلح النفوس أظلمت الآفاق وسادت الفتن في حاضر الناس ومستقبلهم، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ** (١١) ﴾ [الرعد: ١١] .

والإسلام في علاجه للنَّفس ابتغاء إصلاحها ينظر إليها من ناحيتين : أنَّ فيها فطرة طيِّبة تهفو إلى الخير ، وتُسرُّ بإدراكه ، وتأسَى للشرِّ وتحزن من ارتكابه ، وترى في الحق امتداد وجودها وصحَّة حياتها، والثانية أنَّ فيها ـ إلى جوار ذلك ـ نزعات طائشة

---

(١) جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١ / ١٢٣ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، بدون تاريخ طبع .

(٢) أحمد بن شوقي بن علي بن أحمد شوقي، أشهر شعراء العصر الأخير ، لقب بأمير الشعراء، ولد سنة ١٢٨٥هـ ، توفي سنة ١٣٥١هـ. الأعلام للزِركْلي ١ / ١٣٦ .

(٣) أحمد شوقي ، ديوان أحمد شوقي، ص٨٤ ، مداخلة وتحقيق راميل أبحيا ،دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية.

تشرُّد بها عن سواء السبيل [١] .

[٢] المدرسة :

تمثل المدرسة البيئة التربوية المنظمة التي يتلقى فيها الفرد مبادئ الكتابة والقراءة ، ويتلقى أنواعاً من التربية لم تكن في البيت أو المجتمع فتتميز قدراته واستعداداته وميوله[٢]، فالمدرسة يمكنها أن تقدم للطفل القدوة الحسنة عن طريق مدرسين أكْفَاء يقدمون المواقف المتسامحة الحية أمام الطلاب عند تعاملاتهم الصَّفِّيَّة ، فالمدرسون الذين يتصفون بالتسامح والعطف والعفو عمن أساء إليهم، أو صدرت منهم إساءة ، أو حركة ، أو كلمة نابية، فإن له تأثيراً عظيماً في نفوس الطلاب ، فهم يتعاملون مع الحدث بروح الأبوة فيبينون خطأ الطالب ويحذرونه من العودة لمثلها ويستعملون معهم الرفق،تقول عائشة رضي الله عنها فيما ترويه عن النبي ﷺ أنه قال : " **إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه** " [٣] ،فالمدرسة تغذي الطفل من خلال المنهج الدراسي الإسلامي الذي يعيش مع الطالب أكثر من اثنتي عشرة سنة ،فهو يبدأ دوامه المنتظم في المدرسة ابتداءً من سن السادسة ،أو السابعة ويبقى في مراحلها التعليمية المختلفة، إلى أن يصبح على رأس عمل معين يفيد منه في معاشه، ويفيد مجتمعه بما يعطيه من خبرات مكتسبة ،وعلى هذا فإن المدرسة من أخطر المؤسسات التربوية التي يقضي فيها الفرد شطراً كبيراً من عمره [٤] .

فهو يتعلم مختلف الأساليب لحل المشكلات مع زملائه وأساتذته ، فالمدرسة هي المحيط المناسب لتوعية الطلاب بأهمية إصلاح ذات البين ومعرفة طرق وأساليب حل الخصومات عبر الحلول الإرضائية التي تمارس في المدرسة عند حدوث أي خصام بين

---

(١) محمد عبد الله الشرقاوي ، الفكر الأخلاقي ، دراسة مقارنة ، ص١٣١ ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

(٢) علي هود باعباد ، التربية الإسلامية فكراً وسلوكاً ، ص٢٨٤ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م ، ص٢٨٤ .

(٣) رواه مسلم ، ٤٦٩٨ .

(٤) محمد أحمد الخراط ، مدخل إلى تحصين الأمة ، ص١٦ .

الطلاب ، فتحل مشكلتهم عن طريق الصلح .

فالمدرسة هي الركيزة الأساس لتنمية القيم والأخلاق الإسلامية، ونشر ثقافة الحب والتسامح والتواضع والعطف على الآخرين والرحمة في الآخرين والتنازل عمن أساء وتجاوز حد الأدب، قال الله تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران :١٣٤] ، فالمدرسة تعمل على تعميق وغرس القيم والمعايير والتصورات والعقائد في الفرد والمجتمع ، وتحويلها إلى سلوك عملي في الواقع، وتكون بذلك عملية فريدة ومتميزة ، ومقصده صياغة وتشكيل العقل ، والوجدان والنفس وتحديد المواقف الكلية في الحياة [١] .

(١) أحمد عيساوي ، الإعلام من منظور إسلامي ، ص١٥٣-١٥٤ ، كتاب الأمة ، العدد ٧١، جماد الأول ١٤٢٠هـ ، السنة التاسعة عشر .

openkandl.com

المبحث الثالث

الإعلام ودوره في إصلاح ذات البين

لم يعد خافياً أننا نعيش عصر الإعلام ،وأنه يستطيع أن يؤثر في كل شيء ، حتى إنه ليجعل الحق باطلاً والباطل حقاً،وأنَّ لوسائل الإعلام تأثيراً كبيراً،حيث صارت الكلمة تطير عبر الأثير ، بل وكذلك الصورة ؛ فقد طوت الأقمار الصناعية المسافات وعبرت الحدود والبحار والجبال لتنقل الكلمة والصورة عبر آلاف الأميال،وتجددت وسائل الطباعة وتوسعت،وأصبح بإمكانِ الصحيفة أن تُطبع في مراكز متعددة في العالم،بحيث تصل يد القارئ في أي مكان في صبيحة كل يوم ،وتعدَّدت وسائل الإثارة المختلفة معتمدة على أحدث ما ابتكر العقل الإنساني ،غزواً للعقل والقلب معاً [١].

فالإعلام بوسائله المقروءة والمسموعة والبصرية وغيرها له تأثير كبير على النمو المعرفي والانفعالي والاجتماعي للطفل يزداد تعاظمها وأهميتها في مجتمعنا الحديث خاصة [٢] ، فما من بيت يخلو من إحدى هذه الوسائل كالمذياع والتلفاز والصحيفة والشريط ، فهذه الوسائل تعمل على التوجيه وحفظ مقومات الأمة وثباتها أمام التياراتِ المختلفة ، وفي سبيل تحصين الفرد والجماعة [٣] .

إن لهذه الوسائل دوراً كبيراً في تعزيز التسامح ونبذ العنف من خلال استضافة عالم ، أو داعية يتحدث عن أهمية إصلاح ذات البين ، ويبين خطورة الخصومة ومضارها على الفرد والمجتمع ، وكذلك عرض مواقف ،إما حقيقية واقعية حدثت ، أو عبر التمثيل لأسرٍ تم الإصلاح بينها ، وكيف نُسجت العلاقات فيما بينهم وعاشوا سعداء ، فعلى الإعلام أن يقوم بدور كبير في نشر هذا الوعي الداعي إلى إصلاح ذات البين .

---

(١) علي جريشة ، نحو إعلام إسلامي، الناشر: مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، ص١١ .

(٢) علي هود باعباد ، التربية الإسلامية فكراً وسلوكاً ، ص٣١٦ .

(٣) أحمد محمد الخراط ، مدخل إلى تحصين الأمة ، العدد (٥٥) ، ص١٧ .

الفصل الثالث

أساليب عملية لإصلاح ذات البين

المبحث الأول : أساليب تتعلق بالطرفين .

المبحث الثاني : أساليب تتعلق بالمُصلِحين .

المبحث الثالث : الطلب والاستماع ، والجلسة الانفرادية .

المبحث الرابع : توظيف الظروف المناسبة .

المبحث الخامس : تنويع الطرائق .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

أساليب عملية لإصلاح ذات البين

هناك أساليب كثيرة ومتنوعة يُمكن استخدامها لإصلاح ذات البين ، فعلى القائمين أن يختاروا من بين تلك الأساليب أفضلها وأنسبها لحل الخصومات التي تنشب بين الأفراد والجماعات في المجتمع الذي يعيشون فيه ، وقد حرصتُ أن أختار أفضل تلك الأساليب لحل النزاعات ، وهي ليست كل الأساليب بطبيعة الحال ، فربما يجد المُصلح من خلال الممارسة لإصلاح ذات البين أساليبَ أفضل تصلحُ لحلّ الخصومات ، وذلك لأن لكل موقف ظروفه الخاصة .

المبحث الأول

أساليب تتعلق بالطرفين لإصلاح ذات البين

تتنوع أساليب إصلاح ذات البين بحسب تنوع طبيعة المشاكل ، والظروف المحيطة بالمتخاصمين ، فما يصلح لقضية لا يصلح لقضية أخرى، وما يصلح لطرف معيَّن لا يصلح لطرف آخر، وما يصلح في قبيلة لا يصلح لقبيلة أخرى،وما يصلح بين الرجال لا يصلح بين النساء، فلذا ينبغي على القائمين بإصلاح ذات البين أن تكون لهم خبرة في أحوال الناس وطبائعهم وعاداتهم وتقاليدهم؛ لأن معرفتهم لطبائع الناس تؤدي إلى سهولة حل الخلاف والخصام بدقة تامة ،والتمكن كذلك من حل النزاعات القائمة ، واتخاذ الأسلوب الأنسب والملائم لحل الخصومات وإصلاح ذات البين ، وإليك بعض هذه الأساليب :

[١] المكاشفـــة :

ينبغي أن يتيح كل من المتنازعين لأخيه الآخر المجال لأنْ يتحدث عمَّا في نفسه ويتكلم بكل تفاصيل القضية المتنازع من أجلها ويستمع إليه،ولا يقاطعه ، ويشجّعه على الكلام الذي من خلاله يتم توضيح القضية المتنازع من أجلها ويزيل اللبس الذي فهمه ، وأنت تُظْهِر تعاطفك معه ، وحرصك على أن تستمع إليه بتفاعل ، وإذا ظهر لك أنّ الحق معه وفي جانبه ، وأنك قد أخطأت وأسأت إليه ؛ فإن من حقه عليك أن تعترف بالخطأ ثم تعتذر منه ، هذا في حالة اقتناعك بخطئك تجاهه . أما إذا لم تقتنع فيجب عليك أن توضح له خطأه بأسلوب حضاري وهادئ، وتجادله بالتي هي أحسن ؛ ليتبيَّن له حقك عليه وخطأه نحوك ، وأن عليه أن يعتذر إليك وتتسامحوا، وأن تحلَّ الألفة محلَّ العداوة .

وهؤلاء الصحابة عندما اختلفوا في أمر الخلافة ، كان الأنصار يرون أنهم أحق بها من غيرهم ؛ لأن الخلافة تركت دون تبيين من قبل الرسول ﷺ ، فليس هناك نص قاطع من الكتاب والسُّنَّة ينتهي الناس إليه ويحتكمون به ، وهنا لم يبق إلا التحلي بالحكمة والحنكة وآداب الاختلاف والحوار العقلاني الهادئ المؤدي لأنبل المشاعر وأفضلها لدى الطرفين ، بالتجاوز واحتواء الأزمة ، والخروج منها إلى برّ الأمان .

فكانت المكاشفة بين المهاجرين والأنصار، فقد تكلم خطيب الأنصار ، ثم أبوبكر الصديق ومما قاله ـ رضي الله عنه ـ : « أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل »[١] . وأشاد بهم وبما قدموا لدينهم ولإخوانهم المهاجرين ، وذكر من فضائلهم ومآثرهم مالم يذكره خطباؤهم ، ثم بدأ في إخراج الأمر من الإطار الذي وضعه خطيب الأنصار فيه ، فالأمر ليس مقصوراً على المدينة – وحدها – فالجزيرة اليوم تستظل بظل الإسلام ، وإن كان المهاجرون القاطنون في المدينة يمكن أن يسلموا لإخوانهم الأنصار بالخلافة ويعرفوا فضلهم ، فإن بقية العرب لن تسلِّمَ لغير قريش ، فبيَّن لهم الأمر بهذا الخطاب الواضح حتى يسلِّموا الأمر لإخوانهم من قريش .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢ / ٦٥٩ .

[٢] الاسترضاء :

قد يكون للطرف الآخر شكوى منطقية ،وحقٌ يطالبك به ، فما عليك إلا الاعتراف بهذا الحق وإرجاعه ما أمكن ، ثم استرضاؤه ؛ لينتهي النزاع ولا يطول ، يقول فولتير (١) : « النزاع الطويل يعني أن كلا الطرفين على خطأ » (٢) .

وقد استرضى رسول الله ﷺ أصحابه وعرض نفسه للقصاص قائلاً : (**من كنتُ جلدتُ له ظهراً فهذا ظَهري فليستقد منه ، ومن كنتُ شتمتُ له عِرضاً فهذا عرضي فليستقد منه**) (٣) ، فهذا استرضاء منه وطلب للعفو والمسامحة في الدنيا قبل الآخرة .

وهذا محمد بن الحنفية (٤) رضي الله عنه جرى بينه وبين أخيه الحسين (٥) بن علي رضي الله عنهما كلام ؛ فانصرفا متغاضبين ، فلما وصل محمد إلى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بعد البسملة :« من محمد بن علي بن أبي طالب إلى أخيه الحسين بن علي،أما بعد : فإن لك شرفاً لا أبلغه،وفضلاً لا أدركه، فإن أمي امرأة من بني حنيفة وأمك فاطمة بنت محمد ﷺ،ولو كان ملء الأرض نساءُ مثل أمي ما وفين بأمك، فإذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر إليّ فترضَّاني،وإيَّاك أن أكون سابقك إلى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني ،والسلام » فلبس الحسن رداءه ونعليه وجاء إليه وترضَّاه (٦) .

---

(١) عُرف باسمه المستعار " فولتير " فيلسوف وصحفي فرنسي ، كانت له بعض الآراء الشاذه ، ولد عام ١٦٩٤م وتوفي عام ١٧٧٨م .

(٢) عبد الله بن محمد الداوود ، متعة الحديث ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م ، ص٢٤٦ .

(٣) صفي الرحمن المبارك فورى ، الرحيق المختوم ، لبنان، بيروت ،، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، ص ٤٦٥ .

(٤) هو ابن علي بن ابي طالب الهاشمي ، ابو القاسم المدني ، ثقة عالم ، من الثانية ، مات بعد الثمانين ، ينظر: التقريب ، ص٣١٢ .

(٥) الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط رسول الله ﷺ وابن ابنته فاطمة الزهراء وريحانته ، واشبه خلق الله به ، ولد للنصف من رمضان سنة ثلاثة للهجرة ، والمشهور انه مات سنة تسع وأربعين ، وقد أطال ابن كثير في ترجمته . أبو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ٨ / ٣٣ – ٤٥ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م .

(٦) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب ، ٢ / ٢٦-٢٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ للطبع، ٢ / ٢٦-٢٧ .

[٣] المواجهة الهادئة:

المسلم الحق الواعي يجب أن يتخلق ويتأدب بآداب الإسلام ويتعامل مع الحدث ، أو النزاع الذي وقع بينه وبين الآخر بروح الأخوة الإيمانية والتسامح الإيجابي، وعدم حمل الحقد تجاه أخيه،وإن حدث ما حدث من إساءة سواء أكان باللسان أم بالسنان.

فالمسلم الذي يقع عليه الظلم يصبر ويصفح ويعفو ؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الشورى: ٤٠] .

واقتداءً بالرسول ﷺ الذي واجه من قومه كل أنواع الأذى هو وأصحابه من رمي بالحجارة والسخرية والاستهزاء، وما حادثة الطائف إلا خير دليل على رحمته وتسامحه ، فقد جاء ملك الجبال، يريد أن يطبق عليهم الأخشبين ، فقال ﷺ : (**بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبدُ الله ـ عز وجل ـ لا يشرك به شيئاً**) [١] ، دعا لهم بالمغفرة من قلبه الطاهر ، فقال : (**اللهمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**) [٢] ، بل زيادة على ما ذكر فإنه كان يحاور أعداءه بلين الجانب والهدوء التام في حواراته وخطاباته .

فهذا عتبة بن ربيعة [٣] والذي كان سيداً من سادات قومه طلب من قومه أن يكلم الرسول ﷺ ويعرض عليه أموراً ، فأذنوا ، فجاء النبي ﷺ حتى جلس ، وبدأ بالحديث مع النبي فقال ﷺ : (**قل يا أبا الوليد**) وأنصت إليه بهدوء تام ؛ حتى انتهى من كلامه ،ثم قال له : (**أقد فرغت يا أبا الوليد ؟**) قال: نعم[٤] ، فهذه أخلاقه مع خصومه وأعدائه .

ومنه نتعلم كيف نواجه الخصم بهدوء تام ، وقوة تحكم بالمشاعر والأحاسيس

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الأنبياء ، باب حدثنا أبو اليمان ، ٦ / ٥١٤ ، واخرجه مسلم في كتاب الجهاد باب غزوة أحد ، ٣ / ١٤١٧ . يُنظر شرحه في الفتح ، ٦ / ٥٢١ . النووي ، شرح صحيح مسلم ١٢ / ١٤٨ .

(٣) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أبو الوليد ، كبير قريش واحد ساداتها في الجاهلية ، أدرك الإسلام ، وطغى فشهد بدراً فقتل يوم بدر سنة ٢هـ . يُنظر : الأعلام للزركلي ٤ / ٢٠٠ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ / ٢٩٣-٢٩٤ .

وقسمات الوجه وتعبيراته، وعدم الانفعال والغضب، بل علّمنا كيف نحاور خصومنا بهدوء ، ونستمع إليهم بإنصات حتى إذا انتهوا من كلامهم نبدأ بتوضيح فكرتنا وبيان خطئهم ، وصولاً إلى إقناعهم بخطأ فكرتهم ، أو خطأ سلوكهم ، ثم طلبهم بعدم التكرار لمثل هذه الأعمال غير المرغوبة ، مع إخبار الخصم إذا اقتنع بخطأ ما أقدم عليه .

ومما رُوي أن الإمام أبا حنيفة قد التقى مع محمد الباقر [١] بن زين العابدين في المدينة ، فقال محمد الباقر : « أنت الذي حوّلت دين جدي وأحاديثه بالقياس ؟ » فقال أبو حنيفة : « معاذ الله » ، فقال محمد : « بل حوّلته » فقال أبو حنيفة : « اجلس مكانك كما يحق لك ، حتى أجلس كما يحق لي ، فإنَّ لك حرمة كحرمة جدك في حياته على أصحابه » فجلس ثم جثا أبو حنيفة بين يديه ثم قال : « إني سائلك عن ثلاث كلمات فأجبني: الرجل أضعف أم المرأة ؟ فقال محمد: المرأة ، فقال أبو حنيفة : كم سهم المرأة ؟ ـ يعني في الميراث ـ فقال: للرجل سهمان ، وللمرأة سهم ، فقال أبو حنيفة: هذا قول جدك ولو حوّلتُ دين جدك لكان ينبغي في القياس أن يكون للرجل سهم واحد وللمرأة سهمان،لأن المرأة أضعف من الرجل، ثم قال : الصلاة أفضل أم الصيام ؟ فقال: الصلاة أفضل، قال أبو حنيفة : هذا قول جدك ولو حوّلتُ دين جدك لكان القياس أنَّ المرأة إذا طهرت من الحيض أمرتها أن تقضي الصلاة ولا تقضي الصوم،ثم قال: البول أنجس أم النطفة ؟ قال: البول أنجس ، قال : ولو حوّلتُ دين جدك بالقياس لكنت أمرت أن يغتسل من البول ويتوضأ من النطفة ولكن معاذ الله أن أحول دين جدك بالقياس، فقام محمد فعانقه وقبّل وجهه وأكرمه [٢].

فهذا الحوار الهادئ من الإمام أبي حنيفة للإمام محمد الباقر جعله يقبل رأسه ويكرمه .

---

(١) محمد الباقر ، هو السيد الإمام ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي العلوي الفاطمي المدني ، ولد سنة ٥٦هـ ، وتوفي سنة ١١٤هـ بالمدينة، أبو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ٩ / ٣٠٩ ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٤٠١ .

(٢) محمد أبو زهرة ، أبو حنيفة ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ، ص٧١ ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٩هـ-١٩٤٧م .

المبحث الثاني

أساليب تتعلق بالمصلحين

وهم الطرف الثالث للتحكيم :

أحياناً لا يفلحُ الأسلوب الهادئ في التعامل مع المشكلة ، أو المواجهة الهادئة والاسترضاء ؛ لأن الطرف الآخر لا يريد حلاً للنزاع ، أو تكون له رؤية معينَّة للنزاع ؛ عند ذلك ينبغي أن يلجأ الراغب في الصلح إلى طرف ثالث يقوم بتسوية النزاع وذلك عن طريق :

[١] التلميح والترغيب والتحفيز :

(أ) التلميح بإصلاح ذات البين :

عندما يحدث نزاع بين طرفين قريبين في النسب ، أو بعيدين ، فعلى أهل الخير والخبرة أن يتدخلوا وبسرعة لحل الخلاف عن طريق الإيحاء والإشادة بواجب الأخوة في حل المنازعات والمخاصمات من خلال قصة حقيقية وقعت بين شخصين آخرين ، أو قصة وهمية ، وكيف تم الحل بمحض إرادتهما واختيارهما ، والإشادة بهذا الفعل عن طريق التداول بالكلام والإشادة بهذا الموقف الجميل وأنه ينم عن نفسية كريمة وخلق عظيم جعلهما يصطلحان فيما بينهما ، عملاً بما يوجبه الشارع الحكيم من الاعتصام بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، ومن عدم الاختلاف والتنازع ، قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقوله ﷺ : **(لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، فإن مرت به ثلاث فليلْقَه فليسلِّم عليه ، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر ، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجر)** [(١)] .

ثم يوضح جلالة هذا العمل وأنَّ تصرُّفَ فاعله يدل على عمق إيمانه وصلاحه

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب : (الآداب) ، باب(الهجرة) ١٠ / ٤٩١ ، ومسلم في كتاب (البر والصلة) ، باب : « تحريم الهجر فوق ثلاث إلا لعذر شرعي » ٤ / ١٩٨٦ .

وهذا التداول والتحدث قد يكون في اللقاءات التي يجتمع فيها عادة الناس وخاصة عند تناول القات[١]،أو في لقاء عابر في الشارع ،أو عند تناول الطعام في المطاعم ، أو في أي مكان يجد الإنسان فرصته للحديث في هذا الموضوع ، ويكون ذلك بالتلميح لا التصريح ، وكما قيل: « الحر تكفيه الملامة »[٢]، والتلميح سنَّة نبوية ، فعندما كان يرغب في إيصال حكم يخاطب الناس فيقول : (**ما بال أقوامٍ قالوا كذا وكذا**)[٣] .

(ب) الترغيب في إصلاح ذات البين:

من هديه ﷺ الترغيب بالصلح ، والدلالة عليه ترغيباً فيه ، وإن كان الحق لأحد الخصمين ، ففي الحديث أن كعب بن مالك[٤] رضي الله عنه تقاضى عبدَ الله بن أبي حدرد ديناً كان له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد؛ فارتفعت أصواتهم حتى سمعهما رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج الرسول ﷺ حتى كشف سجف حجرته، فنادى كعب بن مالك فقال:لبيك يا رسول الله، فأشار بيده أن ضع الشطر ، فقال كعب : قد فعلت يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : **قم فاقضه**[٥] .

قال الحافظ ابن حجر[٦] : « فيه سرعة فهم الصحابة لمراد الشارع وطوعيتهم لما

---

(١) شجرة القات إحدى النباتات التي تنمو طبيعياً ، وبصورة برية واضحة في عدد في المناطق الجبلية في أفريقيا وكذلك في اليمن ، والقات من النباتات مجهولة الميلاد ، تُمضغ وتخزن في الفم . أما حكمه فقد اختلف العلماء حول مسالة شجرة القات بين محللٍ ، ومحرم ، ومتوقف ، فبعضهم أجاز تناول أعواد القات ؛ لعدم وجود نص من الكتاب والسنة يُحرم ذلك ، وبعضهم ذهب إلى التحريم ، وبعضهم توقف في الحكم ، وهذا الخلاف بين العلماء قديماً وحديثاً . يُنظر : عبد الرحمن ثابت ، القات الوجود المتجاوز للحدود ، الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .

(٢) محمد بن سلام الجُمحي ، طبقات فحول الشعراء ص٦٨٩ ، مطبعة المدني، الطبعة السابعة ، بدون تاريخ طبع .

(٣) رواه مسلم في كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ٢ / ١٠٢٠ .

(٤) أبو عبد الله الأنصاري السلمي، شاعر مشهور، شهد العقبة وبايع فيها وتخلف عن بدر وشهد أحداً وما بعدها ، وتخلف عن تبوك . روى عن النبي ﷺ وروى عنه أولاده وابن عباس وغيره ، وذهب بصره في خلافة معاوية ومات بالشام ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣ / ٣٠٢ .

(٥) رواه البخاري في كتاب الصلح ، باب الصلح بالدين، حديث ٧١٠ ، صحيح البخاري مع شرح فتح الباري لابن حجره / ٣١١. ورواه مسلم في كتاب (المساقاة)حديث ٣٩٦١،صحيح مسلم مع شرح النووي١٠ / ٤٦٤ .

(٦) سبق ترجمته .

يشير به ، وحرصهم على فعل الخير » [١] .

إن الترغيب والإشارة بالصلح من قبل الحاكم ،أو العالم ، أو الساعي إلى الصلح قد تكون علاجاً ناجعاً لرفع الخصومة ، وإعادة الوئام والسلام في كثير من الأحيان ، وقد سمع الرسول ﷺ صوت خصوم في بابه عالية أصواتهم ، وإذا أحدهما يستوضع [٢] الآخر ويسترفقه في شيء [٣] وهو يقول :والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول ﷺ فقال: « **أين المتألي** [٤] **على الله لا يفعل المعروف** » ؟ فقال : أنا يا رسول الله ، **فله أي ذلك أحب** [٥] ، فالرسول يرغب الصحابة بقوله: (**أين المتآلي على الله لا يفعل المعروف ؟**) ما يدل على أن الصلح من المعروف .

(جـ) إطلاق العبارات المحفزة لإصلاح ذات البين :

الكلمة الطيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، فهي تُصلح خطأً ، وتردُّ معانداً جموحاً مشاكساً فتلين عريكته وتردُّه إلى فطرته ، وتدغدغ مشاعره حتى يؤوب ويسلِّم ويُذعن للحق ويعود إلى صوابه ، فيعفو عمن ظلمه وتعود المياه إلى مجاريها ، وتتصافح القلوب قبل الأيدي ، فكم من كلمة رقيقة حولت غضباً جامحاً يفضي إلى إزهاق نفس ، أو أمر بحبس إلى عفو وحنان وتكريم للشخص المغضوب عليه ، فربَّ كلمة تدفع عن الإنسان القتل ، فهذا إبراهيم بن المهدي [٦] دخل على المأمون [٧] قبل رضاه عنه فقال : يا أمير المؤمنين ، وليُّ الثأر محكم في

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ٥ / ٣٠٧ .

(٢) يتوضع : يطلب الوضيعة ــ الحطيطة من الدين ، الفتح ٥ / ٣٠٨ .

(٣) يترفقه : يطلب الرفق به ، الفتح ٥ / ٣٠٨ .

(٤) بضم الميم وفتح المثناه والهمزة وتشديد اللام المكسورة ، أمي : الحالف المبالغ في اليمين ، الفتح ٥ / ٣٠٢ .

(٥) أخرجه البخاري في الفتح ٥ / ٣٠٧، رقم ٢٧٠٥ .

(٦) هو إبراهيم بن محمد المهدي العباسي الهاشمي ، أخو هارون الرشيد ، ولد ونشأ في بغداد ، وكانت ولادته سنة ١٦٢هـ ووفاته سنة ٢٢٤هـ ، ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه ، وبايعه كثيرون ببغداد فطلبه المأمون فاستتر ، فأهدر دمه فجاءه مستسلماً فسجنه ستة أشهر ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله فاعتذر فعفا عنه ، ليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً ولا أجود شعراً . يُنظر : الأعلام للزركلي ١ / ٥٩-٦٠ .

(٧) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي ، كان مولده في ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، ليلة توفي عمّه الهادي ، وكانت وفاة المأمون بطرسوس في يوم الخميس وقت الظهر لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب من سنة ثماني عشرة ومائتين ، وله من العمر نحو ثمان وأربعين سنة ، وكانت فترة خلافته عشرين سنة وأشهر ، وصلى عليه أخوه المعتصم. يُنظر : أبو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ٩ / ٢٧٤ – ٢٨٠ .

القصاص ، ومن تناوله الاغترار مُدَّ له من أسباب الرخاء وأمن عادية الدهر ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كل ذي ذنب دُونك فإن تأخذ فبحقك، وإن تعفُ فبفضلك ، ثم قال :

ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أو لا ... فاصفح بفضلك عنه
إن لم أكن في مقالي ... من الكرام فكنه

فقال: القدرةُ تذهب الحفيظة، والندم توبة، وعفو الله بينهما، وهو أكبر ما يحاول ، يا إبراهيم، لقد حَبَّبْتَ إليَّ العفو حتى خفتُ ألا أؤجر عليه، لا تثريب عليك يغفر الله لكَ!! وعفا عنه وأمر برد ماله وضياعه (١) .

فالإنسان بطبعه يعجبه المدح ويستريح إليه وتتحرك مشاعره، وتحفزه إلى فعل الخير وترك الخصومة والنزاع، فعند ذلك يلجأ المصلحون المعروفون بالخير والصلاح والوجاهات والشخصيات المؤثرة الذين لهم قدرٌ كبيرٌ من الاحترام لدى الأطراف المتنازعة ، فيقوم بإطلاق العبارات المشجعة على الصلح والإصلاح في غياب الخصمين تنتهي إلى سماع الطرفين كل على حدة ، فمثلاً ، يقول : «نحن نعرف فلاناً كريماً وشهماً وطيب القلب سموحاً غير حقود » إلى غير ذلك من كلمات المدح ويقوم شخص ناصح وصادق بنقل هذا الكلام إلى الممدوح والذي هو الطرف الأول وكذلك ينقل هذا الكلام إلى الطرف الثاني وهكذا .

وربما يطلق العبارات الجميلة في وجه المتخاصمين عندما يجد فرصة كل واحد على حدة ، فهذا رسول الله ﷺ قد استخدم العبارات المشجعة للآخرين والمحفزة لهم لسلوك طريق الخير ، ونبذ روح التعصب والعداء ، قال العباس (٢) : قلت

(١) أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عبد ون القالي ، كتاب الأمالي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، تاريخ الطبع ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، ص١٩٣- ١٩٤ .

(٢) هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ، ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين ، قيل : إنه أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه ، كان شريفاً مهيباً عاقلاً ، جميلاً ، أبيض له ضفيرتان ، معتدل القامة ، وكان الصحابة يجلُّونه لعمومته لرسول الله ﷺ ، عاش ثمانين سنة ، ومات سنة اثنتين وثلاثين فصلى عليه عثمان بن عفان ، ودُفن بالبقيع . يُنظر : سير أعلام النبلاء ٢ / ٧٨-٨٠ .

يا رسول الله: إن أبا سفيان [١] رجل يحبُّ هذا الفخر، فاجعل له شيئاً: قال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » [٢].

فانظر إلى فعل الرسول ﷺ وكيف رفع معنويات أبي سفيان؟! وكيف قربه إليه وجعله ينادي في الناس أن يدخلوا بيته وأن لا يحملوا السلاح في وجه النبي ﷺ وأصحابه !!.

وهذا أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ عندما سمع كلمة تبيَّن أنه يقوم الليل رفعت من معنوياته، فقال كما يروي ذلك أبو يوسف [٣] قال: « بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعتُ رجلاً يقول لرجل: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال: أبو حنيفة: لا يُتحدث عني بما لم أفعل! فكان يُحيِّي الليل ما بقي بعد ذلك » [٤].

(١) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، رأس قريش وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق، أسلم يوم الفتح، وكان من دهاة العرب ومن أهل الرأي والشرف فيهم، شهد حنيناً وأعطاه صهره رسول الله ﷺ من الغنائم مائة من الإبل وأربعين أوقية من الدراهم يتألفه بذلك، ففرغ من عبادة هبل ومال إلى الإسلام، توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين، وله نحو التسعين. يُنظر: سير أعلام النبلاء، ٢ / ١٠٥ - ١٠٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٤ / ٤٠٣.

(٣) يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ولد سنة ١١٢هـ، اشتغل في بداية حياته برواية الحديث، فروى عن هاشم بن عروة وغيره، تفقه أولاً بابن أبي ليلى ثم انتقل إلى أبي حنيفة فكان من أجل تلاميذه، وهو صاحبه وله كتاب يسمى الخراج في الفقه الحنفي، توفي سنة ١٨٣هـ. يُنظر: تاريخ التشريع الإسلامي، ص٢٣٣، وينظر: سير أعلام النبلاء، ٨ / ٥٣٥، والأعلام للزِركْلي ٨ / ١٩٣، والجامع شمل أعلام المهاجرين، ص٦٥٥، تاليف: محمد عبد القادر بامطرف، الناشر الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٤) يُنظر: تهذيب التهذيب لابن حجر، ٥ / ٦٣٠، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

المبحث الثالث

إصلاح ذات البين من خلال الطلب والاستماع والجلسة الانفرادية

[١] الطلب المباشر لإصلاح ذات البين :

إذا حدث شجار أو خصام بين طرفين في قضية من القضايا فإن على أهل الصلاح والإصلاح أن يستغلوا هذا الموقف ويطلبوا من أحد المتخاصمين ، في قضية سابقة لهم رغبة في حلها أن يطلبوا منه، أن يتدخل في حل الخصام ، حديث العهد الواقع بين فلان وفلان من الناس ، ثم يوضحان له قدرته على حل مثل هذا الشجار لمكانته واحترام الناس له وما عُرف عنه من التواضع ، وكرهه للنزاع والخصام ، وحبه لإصلاح ذات البين ، وقدرته على رأب الصدع ، متظاهرين في الوقت نفسه بعدم معرفتهم بخلافه الواقع بينه وبين جاره ، أو صديقه السابق ، أو قريبه، فعندما يوافق ويبدي استعداده لحل هذا النزاع ويتهيأ نفسياً لمباشرة إجراء الصلح وإنهاء الخصام ، يتحرك شخص آخر ممن يعرف خلافه مسبقاً مع طرف آخر ، ويشكره على استعداده لحل الخلاف القائم بين فلان وفلان مثلاً ، ويشجعه على هذا العمل النبيل ، ثم يذكره بالخلاف الواقع بينه وبين فلان من الناس وأن الواجب عليه أن يصلح أولاً ما بينه وبين جاره ، قبل أن يصلح ما بين الآخرين ، ويذكره بقوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة:٤٤] ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الصف:٢] ، ثم يعرض عليه استعداده للتدخل في الصلح والإصلاح بينه وبين الطرف الآخر؛ ليكون أحرى أن يقبل منه الآخرون الصلح بينهم ، وخاصة إذا كان الطرفان الآخران قد علما بخلافه مع الآخر، فربما يقومان بإحراجه أمام الآخرين ويقولون لك :اصطلح مع فلان وفلان، ثم تعال واصلح بيننا ، وربما يذكرونك بقول الشاعر [١] :

---

(١) أبو الأسود الدؤلي ، وقيل الأخطل ، والأبيات في أشعارهما .

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مـــثلَه عـــارٌ عليك إذا فـعلت عظيم [١]

ثم يخاطبه : ما رأيك أن تبادر لإنهاء مشكلتك ؟ وسوف أكون أنا الوسيط في حل هذه المشكلة ، فعندما تُحل هذه القضية تستطيع أن تحل الخلاف بين الآخرين ويُستجاب لكلامك ، وتعود المياه إلى مجاريها الطبيعية ، ويحلُ الوفاق محل الخلاف ، والحبّ محل البغض ، والاجتماع محل الفرقة .

وقد يُفتعلُ خلافٌ تمثيليٌ بين اثنين يتفقان على التدابر والخلاف بما يشبه الخلاف الحقيقي الناشب بين خصمين،ثم يطلب من الخصمين الحقيقيين أن يصلحا بينهما .

[٢] الاستماع :

ينبغي لمن يتصدر مهمة إصلاح ذات البين أن يرتب لقاءً مع أحد المتخاصمين كل طرف على حدة، ويجلس مع كل واحد منهم ، ويطيل معه الجلوس ويستمع لشكواه ، وما يعانيه من ألم تجاه خصمه ، وما لاقاه مِن الأذى والسبّ والشتم والمعاملة السيئة ويتركه يتحدث بكل ما في نفسه ويظهر تعاطفه معه، وأنه سيقف في جانبه وأنه سيأخذ له الحق من خصمه إن كان الحق له ، وأنه سيعمل بالحديث النبوي الشريف : (**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**) [٢] ، وبعد هذا الحوار الهادئ يذكره بخطورة الخصام ، ومغبة النزاع في الدين والدنيا وأنّ طول المنازعة والوقوف أمام الأقسام والنيابات والمحاكم إنما هو تضييع للوقت والمال والجهد ، بل إراقة لماء الوجه والكرامة الإنسانية ، وأن الأفضل والأحسن أن ينتهي هذا الخصام والخلاف بأسرع وقتٍ ممكن عن طريق الصلح ، ثم يبادر وهو مازال في مقام الحوار بتفنيدِ بعض كلامه بكلام يملؤه الحبُّ والحنانُ فيقول له: أنت محق في كذا وكذا ، ومخطئ في كذا وكذا ، وهذا حسب ما سمعته منك وما يفهم من كلامك ، وربما يكون خصمك لديه حجج وبراهين؛ فينبغي أن أستمع إليه ، ولكن ما رأيك على حسب

---

(١) الماوردي ، أدب الدنيا والدين، ص٤٠، يُنظر : درء تعارض العقل والنقل ،٩ / ٢٢، تحقيق محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨١م .

(٢) البخاري مع الفتح في كتاب المظالم ، باب : « أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً » ٥ / ٩٨ . وأخرجه مسلم في كتاب البر ، باب (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) ٤ / ١٩٩٨ .

ما سمعته منك أن يكون الأمر كذا وكذا ؟ ، فهل أنت مستعد وقابل لإنهاء الخصام القائم بينكما ، وتعود المياه إلى مجاريها ؟ ، وتتآلف القلوب وتصلح النفوس وتعود المحبة والأخوة فيما بينكم ، فإن قبل بهذا عند ذلك يتم العمل مع الطرف الآخر بهذا الأسلوب ، فإن قبل الآخر بذلك يتم الجمع بينهما وإصلاح ذات بينهما وإنهاء كل عداوة وخصام .

[٣] الجلسة الانفرادية :

على أهل الإصلاح أن يقتطعوا من أوقاتهم ومن راحتهم لمعرفة مطالب الخصمين وسبب خصامهما والتوفيق في مطالبهما واستبيان حالتهما ؛ كل هذا يساعد أهل الإصلاح على وضع أيديهم على الحل إذا حسُنتْ النية ، وصدق العزم والرغبة في إنهاء الخصام ، وقويت الإرادةُ في الإصلاح ؛ فإن الله يوفق بين المتخاصمين .

يقول الإمام السَّمَرقندي [١] : عند قوله تعالى : ﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء: ٣٥] ، « يذهب ـ أي الحاكم ـ إلى الرجل ويخلو به ويقول له : أخبرني بما في نفسك أتهواها أم لا ؟ متى أعلم مُرادك » فإن قال لا حاجة لي بها ، خذلي منها ما استطعت ، وفرق بيني وبينها فيعرف أن من قبله جاء النشوز ، وإن قال : أهواها فأرضها من مالي بما شئت ولا تفرق بيني وبينها فيعرف أنه ليس بناشز .

ويخلو وليُّ المرأة بها ويقول : « أتهوين زوجك أم لا ؟ فإن قالت : فرق بيني وبينه وأعطه من مالي ما أراد ، علم أن النشوز من قِبَلها ،وإن قالت : لا تفرق بيني وبينه ، ولكن حثه على أن يزيد في نفقتي ويحسن إلي ، علم أن النشوز ليس من قِبَلها ، فإذا ظهر لهما الذي كان النشوز من قبله يقبلون عليه بالعظة والزجر والنهي »[٢] .

هذا في حال الخصام بين الزوجين ، أما إذا كان بين شخصٍ وآخر فإن على القائم في إصلاح ذات البين أن يفهم القضية من جميع جوانبها ثم يعرض الحلول التي يرى

---

(١) نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي ، الفقيه المعروف بإمام الهدى ، له تفسير القرآن العظيم والنوازل في الفقه وتنبيه الغافلين ، توفي سنة ٣٧٥هـ ، طبقات الراوردي ، ص٥٣٠-٥٣١ .

(٢) تفسير السمرقندي (بحر العلوم) ، ١ / ٣٠٠ ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد ، حققه وعلق عليه عمر ابن غرامة العمروي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ ، دار الفكر ، بيروت .

أنها تقرب بين وجهات النظر لدى المتخاصمين .

فإذا رأى تقاربهما وعرف ما يريده كل واحد، وبمَ يقبل من الحلول ؟ ، عند ذلك يقوم بالجمع بينهما، وإعطاء الحكم الذي يكون قد عرفه من الخصمين الذي يظن كل طرف أن هذا الحكم هو الذي صاغه، وأنه ما اتفق عليه هو والمصلح ، عند ذلك يستجيب لهذا الصلح ويتم الاتفاق والوفاق والصلح .

obeikandl.com

المبحث الرابع

توظيف الظروف المناسبة لإصلاح ذات البين

[١] استغلال الفُـــرص لإصلاح ذات البين:

قد يمتد الخصام بين طرفين ، ويتمسك كل طرف برأيه وموقفه ، ويرفض التنازل عنه ، وربما يرفضان التدخل ـ في ظل النزاع ـ من قبل المصلحين ، ويستمرَّان في العناد والمقاطعة والتهاجر ربما سنوات عدة ، ففي مثل هذه الحالة يتعين على المتخاصمين من جهة ، وعلى المصلحين والوجهاء والعلماء والدعاة والمهتمين بإصلاح ذات البين من جهة ثانية أن يستغلوا الفرص لتقريب وجهات النظر، ولإعادة الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، فلا شك أن هناك أفراحاً وأتراحاً يستغلها الشخص الحريص على الصلح بينه وبين جاره ، أو من بينه وبينه خصام ، فعندما يسمع أن خصمه قد جاء له مولود وقد دعا الناس إلى وليمة ، فربما يستغل هذا الظرف ويأتي إلى منزل الطرف الآخر ليهنئه بالمولود ، أو حدثت له وفاة قريبه فيذهب لتعزيته .

هذا من جانب المتخاصمين ، أما من جانب المحبين للإصلاح فإنه يجدر بهم أن يستغلوا أي مناسبة مواتية ، فلو أن أحد المتخاصمين عزم أقرباءه وأصدقاءه إلى وليمة لمناسبة معيَّنة ففي هذا الظرف يتفق بعض أصحاب الوجاهة المدعوين لدى الخصم العنيد أنه عندما يقرب المائدة يقفون متمنعين عن تناول الطعام حتى يُعلن الخصم اصطلاحه مع خصمه ، وأن يتعهد بذلك كي لا يسبب الرفض امتناع المُطالب للصلح عن تناول الطعام عند ذلك يحدث مالا يُحمد عقباه .

فهذا الأسلوب جدير بأن يترك الخصم يرضخ للطلب ويعلن موافقته للصلح مع خصمه ، وهذا أسلوب معروف يتعامل به بعض أهل اليمن .

ومما ينبغي التنبيه عليه : فعل الرسول ﷺ في استغلاله للمواقف حيث إنه زار أحد اليهود في حالة مرضه وقد أثمرت تلك الزيارة بإسلام ذلك الشاب وشهد

شهادة الحق .

أتى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجملهم ، فقال له رسول الله ﷺ : **(أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي ؟)** فقال برأسه هكذا ، أي : لا ، فقال ابنه : أي والذي أنزل التوراة إنا لنجدُ في كتابنا صفتك ومخرجك وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: **(أقيموا اليهودي عن أخيكم)** ثم ولى كفنه وحنطه وصلى عليه [١] .

[٢] استغلال حاجة الخصم لإصلاح ذات البين :

الإنسان يتفاعل مع الآخرين ويتبادل معهم المصالح الاجتماعية والشخصية التي عن طريقها تسير الحياة الهادئة الكريمة .

فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده بمعزلٍ عن الآخرين ، فلابد من الاختلاط والتعايش والاحتكاك وتبادل المصالح ، وأن يمارس مع الآخرين التعاملات الحياتية ، فالناس تختلف طبائعهم وسلوكهم ، عند ذلك يحصل الخصام والنزاع ، ويستعصي على أهل الخير الصلح والإصلاح ورأب الصدع وإنهاء الخصام ؛ لتعنت أحد الخصمين ، أو كليهما ، عند ذلك تستمر المقاطعة والعداوة والحسد والكره والبغض وتمني كل واحد الهلكة لخصمه والفرح بالمصيبة التي تقع للآخر ويظل كل طرف يحمل في قلبه الغل والحسد وينتج عن ذلك الغيبة والنميمة ، وقد يكون هذا الخصم من أقرب المقربين كالأب ، أوالأم ، أو الأخ إلى غير ذلك .

فلو أن المخلصين لدينهم ثم لمجتمعهم عرفوا أهمية إصلاح ذات البين ، فاستغلوا كل الفرص المتاحة لهم ؛ لإصلاح ذات البين ، ليكون لهم الأجر العظيم عند الله ، فعندما يحتاج هذا الشخص المعاند والمشاكس والمخاصم إلى قضاء حاجة له كقرض ، أو يرغب في زواج له ، أو لقريبه ، أو يحتاج إلى شراء أرض ، أو مساعدة مالية ،

---

(١) أحمد في المسند ٥ / ٤١١ ، وقال ابن كثير: هذا حديث جيد قوي،وله شواهد في الصحيح عن أنس رضي الله عنه ، ينظر :تفسير ابن كثير ٢ / ١٦٢ ، ومجمع الزوائد ٨ / ٢٣٤ .

أو شفاعة إلى أحد الناس ، أو إنهاء قضية متورط فيها ، فعندما يلجأ إلى من يساعده في إتمام حاجته وتسهيل مهمته لقضاء حاجته ينبغي أن ينصحه ، بالقيام بالصلح مع خصمه ، ويقول له : إذا أردت أن يوفقك الله ويسهل عليك عملك وتحصل على ما تريد، فعليك أن تقبل الصلح بينك وبين فلان، فعليك بالقبول حتى يتم لك بإذن الله ما تريد . فلو قبل بهذا العرض ؛ تجب المبادرة إلى إصلاح ذات البين وإنهاء الخصومة ، والإسراع إلى مساعدته لقضاء حاجته بكل الوسائل والإمكانيات المتاحة .

وإليك قصة توضح موقفاً عن طريق الصلح بين طرفين :

فقد ذهب شخص يرغب في الزواج من فتاة قد أعجبته ويحب أن يتزوجها إلى أحد أصدقائه ، وطلب منه أن يذهب معه إلى والد الفتاة ؛ ليخطب له فقال له الصديق : إذا أردت شخصاً يستطيع أن يؤثر على والد البنت فعليك بفلان الذي هو خصمه، فإنه شخصية محترمة عند والد الفتاة فما عليك إلا أن تذهب إليه وتصطلح معه وتطلب منه أن يذهب معك لخطبة الفتاة من أبيها، فهذه نصيحة لك؛ لأنه أكثر الأشخاص تاثيراً على والد الفتاة ، ولربما لو ذهبت مع أحد الأشخاص وعلم خصمك ربما أفسد عليك الأمر، فبادر إلى إنهاء الخصومة معه هذا أولاً، وثانياً: فإن الصلح أمر مستحب والشريعة تدعو إليه وتشجع المتخاصمين على إنهاء خصامهم وتحذرهم من مغبة الخصام ، عند ذلك ذهب إلى خصمه واصطلح معه وكان وسيطه عند والد الفتاة وتمت الفرحة وذهبت الضغائن والأحقاد بفضل الله[1].

(١) وقعت في بعض المناطق اليمنية .

المبحث الخامس

تنويع الطرق في إصلاح ذات البين

[١] الإغراء :

سواءً كان هذا الإغراء مادياً ، أو معنوياً فإن كثيراً من الناس يحركهم المال ، أو المنصب، وفي سبيل ذلك يتنازلون عن أي شيء ، فهمهم المال والجاه والسلطان يدورون حيث دار ، فمثل هؤلاء يمكن استغلال طبائعهم ، والاستفادة من أنانيتهم في إصلاح ذات بينهم .

فلو أن أهل الخير والصلاح والحريصين على الإصلاح وإنهاء الخصومات والمنازعات، استغلوا أنانية هذا الخصم المعاند والحريص على المال والجاه ، واستخدموا معه أي وسيلة ممكنة وسليمة ، لتقريب وجهات النظر وإصلاح ما ينتج عنه من ضرر لَهُو خير يفعلونه .

فلو حدثت بين طرفين مشكلة وتدخلوا لحلها ، ثم وجدوا أحد أطراف المشكلة متعنتاً ومعانداً وغير قابل لإنهاء الخصام مع تدخل المصلحين ،فإنهم يتخذون أسلوباً آخر ، وهو البحث عن مرؤوسه في مكان عمله إن كان من أهل الخير ، وإبلاغه بالقضية ويُطلب منه أن يتخذ معه أسلوب الإغراء ، فيقول له : إني أرغب أن تكون في الموقع الفلاني إذا شاء الله ويسّر، ثم يطلب منه أن يتعامل مع الآخرين والذين هم في مقر عمله بالحب والوفاء والإخاء والمودة وأن يظهر تفانيه في خدمتهم وأن يعمل من أجل مصلحتهم ، ثم يقوم الراغب في الإصلاح ،أو الخصم نفسه ويطلب منه أن ينهي خصامه مع الطرف الآخر،أو معه فإن رفض حذره أنه سوف يشتكيه إلى مرؤوسه في عمله ، عند ذلك ربما يقبل الصلح رغبة في الوظيفة الموعود بها .

وقريبٌ من هذا ما فعله القاضي إياس[١]: « إستودَعَ رجل رجلاً من أبناء الناس مالاً ، ثم رجع فطلبه فجحده فأتى إياساً فأخبره ، فقال له إياس : انصرف فاكتم

---

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة المزني ، أبو واثلة ، قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء ، يضرب به المثل بذكائه ، ولد سنة ٤٦هـ وتوفي سنة ١٢٢هـ في واسط . يُنظر : الأعلام للزِركْلي ٢ / ٣٣ .

أمرك ، ولا تُعْلمه أنك أتيتني ، ثم عُدْ إليَّ بعد يومين ، فدعا إياسٌ المُودَع ، فقال : قد حضر مالٌ كثيرٌ وأريد أن أسلّمه إليك، فحصينٌ منزلك ؟ قال: نعم ، قال : فاعدْ له موضعاً وحمالين ، وعاد الرجل إلى إياس فقال : انطلق إلى صاحبك فاطلب المال، فإن أعطاك فذاك وإن جحدك فقل له: إني أُخْبِرُ القاضي، فأتى الرجل صاحبه فقال : مالي وإلا أتيت القاضي وشكوتُ إليه وأخبرته بأمري فدفع إليه ماله ، فرجع الرجل إلى إياس فقال: قد أعطاني المال وجاء الأمين إلى إياس لموعده ، فزجره وانتهره وقال : لا تقربني يا خائن (١) .

[٢] الكذب المبـــاح لإصلاح ذات البين:

رخص الإسلام في حالة إصلاح ذات البين : أن يلجأ المصلح إلى الكذب في بعض الأوقات ، وعند الضرورة الملحة استدلالاً بالحديث الذي رواه مسلم عن أم كلثوم بنت عقبة (٢) ، أنها سمعت النبي ﷺ يقول : « **ليس الكذاب الذي يُصلِح بين الناس فينمي خيراً ، أو يقول خيراً** » (٣) .

قال القاضي (٤) : لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصورة (٥) ، واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها، ماهو ؟ .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، ص٢٥-٢٦ ، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ طبع.

(٢) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، من المهاجرات ، اسلمت بمكة ، وبايعت، ولم يتهيأ لها الهجرة إلى سنة سبع وكان خروجها زمن صلح الحديبية ، فخرج في أثرها أخوها الوليد وعمارة ، فما زالا حتى قدما المدينة ، فقالا : يا محمد ، فلنا بشرطنا ، فقالت : أتردني يا رسول الله إلى الكفار يفتنوني ولا صبر لي، وحال النساء في الضعف ما قد علمت ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ [الممتحنة : ١٠] ، سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٧٦ .

(٣) رواه البخاري ، باب: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، حديث (٢٦٩٢) ، ص ٥ .

(٤) حسين بن محمد بن أحمد ،العلامة شيخ الشافعية بخراسان ، أبو علي المروذي ، وكان من أوعية العلم، وكان يلقب بحبر الأمة ، مات بمرو الرُّوذ في المحرم سنة اثنتين وستين وأربعمائة . يُنظر : سير أعلام النبلاء ، ١٨ / ٢٦٠-٢٦٢ .

(٥) المراد بالصور الثلاث : قول بن شهاب ولم أسمعه يرخص بشيء مما يقول الناس كذباً إلا في ثلاث :« الحرب، والإصلاح بين الناس ، وحديث المرأة لزوجها وحديث الرجل لامرأته ». النووي ، شرح صحيح مسلم ، باب (تحريم الكذب) ، ١٦ / ١٥٧ .

قالت طائفة [١] : « هو على إطلاقه ، وأجازوا قول ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة » وقالوا : « الكذب المذموم ، فيه مضرة واحتجوا بقول إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ [الأنبياء:٦٣] ،﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الصافات :٨٩] ، وقوله : « إنها أختي » [٢] ، وقول منادي يوسف ـ عليه السلام ـ : ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يوسف : ٧٠] ، قالوا : « ولا خلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل هو عنده مختفٍ وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو » [٣] .

وقال آخرون : « لا يجوز الكذب في شيء مطلقاً ، وحملوا الكذب المراد هنا على التورية والتعريض، كأن يقول لظالم: دعوتُ لك أمس ، وهو يريد قوله : اللهمَّ اغفر للمسلمين ، ويعد امرأته بعطية شيء ويريد إن قدر الله ذلك » [٤] .

والأصل أن الإنسان لا يكذب ، ولكن إذا شعر المصلح أنه : إذا نقل عن هؤلاء إلى هؤلاء كلاماً جميلاً، ومن هؤلاء إلى هؤلاء كلاماً جميلاً سيؤدي إلى إصلاح ذات البين ؛ فعليه أن يستخدم الكذب ، ولكن بحدودٍ ضيقة .

وشيء من الأفعال لا يحسن لذاته، بل إنها يحسن ما يحسن لما يتعلق به من المنافع،ويقبح ما يقبح لما يتعلق به من الضرر المعرفي على ما فيه من النفع وبالعكس. ألا ترى أن أعظم ما يجري في العالم القتل والغصب ، وقد يقع كل واحدٍ منهما على وجه يحسن ، وعلى وجه يقبح ، وكذا المقال من الصدق والكذب[٥]؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ : (**ليس الكذّاب الذي يصلح بين الناس فينْمِي خيراً** [٦]

---

(١) منهم الخطابي ، كما قال بن حجر في الفتح ،٥ / ٣٠٠ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح،كتاب الأنبياء، باب : قول الله تعالى:﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [النساء :١٢٥]، ٦ / ٣٨٦ ، رقم الحديث (٣٣٥٢) .

(٣) النووي ، شرح صحيح مسلم ١٦ / ١٥٨ .

(٤) الفتح ، ٥ / ٣٠٠ .

(٥) الأصفهاني : الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ص٢٧٢ .

(٦) فينْمي خيراً : أي يبلغ ، تقول نميت الحديث أنميه إذا بلغته إلى وجه الإصلاح وطلب الخير، فإذا بلغته على وجه الإفساد والنميمة قلت: نممته بالتشديد . فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٥ / ٢٩٩ .

ويقول خيراً »[١] ، والمراد هنا أنه يخبر بما علمه من الخير ، ويسكت عما علمه من الشر ولا يكون ذلك كذاباً؛ لأن الكذب : الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع ، وهذا ساكت ولا ينسب لساكت قول .

ولا حجة فيه لمن قال :يشترط في الكذب القصد إليه؛لأن هذا ساكت[٢] ووجه الاستدلال بهـذا الحديث :أنه بلغ من مشروعية الصلح أن رخص النبيﷺ بالكذب .

فعند الإصلاح بين الناس يمكن اللجوء إلى الكذب المباح عند الضرورة ، مثل: عناد المتخاصمين ، أو أحدهما ، عند ذلك يمكن الكذب .

فيقال لأحد الخصمين على انفراد: لقد جلستُ مع فلان وتجاذبنا الحديث ، ووجهتُ إليه اللوم لخصامك، وبيَّنتُ له كرمك وسلامة طويتك ، فاعتذر وأثنى عليك ، متهماً الشيطان والحاسدين في هذه الخصومة ، وإلا فإني أكنُّ له الاحترام وهو من أعزِّ الأصدقاء ، وأنا حريص على أن نتصالح .. ثم يعود إلى الطرف الثاني ويسرد عليه الخبر نفسه ، ويحرص على اجتماعهما في أقرب فرصة ممكنة ؛ بغية الصلح .. هذا من جانب الرجال ، وكذلك تستطيع النساء أن يقمن بالدور نفسه مع النساء ، ويشاركن في إصلاح ذات البين .

[٣] العرض التمثيلي لإصلاح ذات البين :

تحتاج هذه الطريقة إلى الحركة والنشاط والعمل في الهواء الطلق[٣] ، ويتطلب هذا الأسلوب الإعداد الجيد للتمثيلية والأداء الجيد للدور المراد عرضه والاختيار الدقيق للألفاظ ، والعبارات ، والحركات ، والإشارات ، فهذا الأسلوب من أقوى الأساليب على إقناع المشاهد بالفكرة التي يُراد توصيلها إلى ذهن المستهدف ؛ لأنها

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلح باب (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس) حديث (٢٦٩٢) ، ٥ / ٢٩٩ . ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب (تحريم الكذب وبيان المباح فيه) ، حديث (٦٥٧٦) ، ١٦ / ٣٧٣ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ، ٥ / ٢٩٩-٣٠٠ .

(٣) محمد عطية الإبراشي ، يُنظر : روح التربية والتعليم ، ص٢٩٤ ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الرابعة ، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م .

تعتمد عند المشاهدة على حاسة السمع وحاسة البصر .

وقد لوحظ أن حاسة السمع والبصر عندما يشتركان في مشاهدة تمثيلية تكون أقرب إلى تثبيت الفكر وتعميقها، وأنها تظل محفورة في عقل الإنسان مدة طويلة ؛ لأن المشهد يعتمد على الرؤية والصوت والحركة (١) .

فعندما يستخدم الإنسان وسيلة السمع والبصر وهو يشاهد تمثيلية على قاعة المسرح الجاد الذي يلتزم ويهتم بقضايا الأمة ومشكلاتها ويعالج الواقعة في المجتمع ؛ وكذلك الرائي « التلفزيون » الذي اتخذ مكانه في الصف الأول بين وسائل الاتصال الجماهيري ففاز بعدد كبير جداً من المشاهدين ، وهم في ازدياد مستمر ؛ وذلك لاستغراقه حاستي السمع والبصر، فهو يستخدم الصورة والصوت والحركة معاً ،وهذا ما يشد المشاهد ويجذب انتباهه حتى وصف « الرائي » بأنه أناني ؛ لأنه لا يسمح بالانصراف عنه ، أو أداء عمل آخر أثناء مشاهدته (٢) .

فلو أن وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية استغلّت ما يُعرض عبرها من الكلمات والمقالات والتمثيليات والمسرحيات لمعالجة المشاكل والنزاعات والثارات والخصومات ؛ لكان الوضع غير ما نشاهده من المشاكل التي فرّقت بين القبيلة والقبيلة الأخرى ، والأخ وأخيه ، والجار وجاره والصديق وصديقه .. الخ ، ولكان الأمر أفضل مما نشاهد اليوم في المجتمعات العربية والإسلامية من الفرقة والاختلاف ، ولكن وسائل الإعلام في كثيرٍ منها مشغولة بالترهات والخزعبلات وغير ذلك .

[٤] القصة لإصلاح ذات البين:

تشد القصة القارئ وتوقظ انتباهه دون توانٍ ، أو تراخٍ ، فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقفها ،أو التأثر بشخصياته وموضوعها حتى آخر كلمة فيها (٣).

---

(١) جيهان أحمد رشتي،يُنظر: الأسس العلمية لنظريات الإعلام ،دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، مارس ١٩٧٨م ، ص٣٦٨ .

(٢) يُنظر : محمد موفق الغلاييني ، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة ، ص١٣٦ .

(٣) عبد الرحمن النحلاوي ،أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، ص٢١٠-٢١١ ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

ومما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف ، وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر ، وتسترسل مع سياقها المشاعرُ فلا تملُّ ولا تكل ، ويرتاد العقل عناصرها ؛ فيجني من حقولها الأزاهير والثمار [١] ، ففي القصة تأثير عجيب على النفس البشرية .

إن قارئ القصة ، أو سامعها لا يملك أن يقف موقفاً سلبياً من شخوصها وأحداثها، فهو ـ على وعي منه ، أو غير وعي ـ يدسُّ نفسه على مسرح الحوادث ويتخيل أنه كان في هذا الموقف ، أو ذاك ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة فيوافق ، أو يستنكر ، أو يملكه الإعجاب ، أو يتمنى أن يكون مكان أحد الشخوص الطيبين ، أو الأبطال الذين يقهرون الشر والظلم ويدافعون عن الحق وعن الضعفاء وعن القيم النبيلة التي تهدف القصة إلى إبرازها [٢] .

فعن طريق القصة يمكن للقائمين بمهمة إصلاح ذات البين أن يستخدموها في الترغيب والتحفيز للخصوم بأن يصلحوا ما بينهم من خصام وشقاق وتفرق وعداء وهجر .

فلو تم لقاء أسري ، أو لقاء عام لمناسبة عامة سواء كانت افراحاً ، أو اتراحاً ، فيتحين الفرصة الخيرون ، ويتبادلون الحديث حول أهمية إصلاح ذات البين وخطورة الخصام ، فيستغل أحد الحاضرين الموقف، ويسرد قصة ـ ربما تكون حقيقية ـ وقعت في غابر الأزمان وكيف تم حل الخصام ، أو وهمية وقعت في مكان ما وفي زمن ما وقعت بين شخصين لا يذكر اسميهما ،على أن تكون القصة قريبة من قضية الخلاف المراد تسويتها، ويكون الحديث بطريق ذكي لا يُشعر الشخص بأنه المقصود، ويتبادل الحاضرون القصةَ من كل جوانبها، فما كان منها من حسن حسَّنوه، ومدحوا القابلَ للصلح مع خصمه، ويبالغون في مدحه ووصفه بأوصاف جميلة ومشوقة للغير ؛ لأنه تصالح مع خصمه ،ويذمون الذي يرفض الصلح ، يوجهون اللوم الشديد

(١) مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، ص٣١٠ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
(٢) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ١ / ١٩٢ ، دار الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

للمعاند والراغب في إطالة الخصام ويذمُّونه بأوصاف قبيحة .

فمثل سرد هذه القصة الشيقة سيغير اتجاه الخصم المعاند الذي سمع القصة ؛ وبالتالي فإنه سيبادر إلى أن يصلح ما بينه وبين خصمه، ويكون الخصم الكريم الشهم الذي ورد ذكره في القصة،وهكذا يفعل مع الآخر إن كان معانداً مثل خصمه الأول، ويكون في أقرب وقت ممكن ؛ حتى لا ينسى الخصم الأول أحداث القصة ، ويكون التأثير مازال حياً ، ثم تتم المبادرة لتسوية النزاع من القائمين بإصلاح ذات البين ، ويجمعون الخصوم ويُحلّون النزاع بالطريقة الودية السلمية .

[٥] تحريض الرأي العام لإصلاح ذات البين:

عندما يصل الفرد إلى باب مسدود، وينفد صبره بعد استخدام كل وسائل التهدئة يتخذ أسلوب إشهار بيع المنزل ، ووضع لوحة إعلان بالرغبة في بيع المنزل ، أو المزرعة ، أو الدكان ، أو أي شيء هو سبب النزاع والخصام ، ثم يبين للناس سبب بيعه لما يملكه ، عند ذلك سيتدخل أهل الخير والصلاح للصلح ، ويكون عليهم واجب إصلاح ذات البين ، ويتدخلون لإنهاء القضية ، فإن رفضَ الطرف الآخر يعلنون رفضهم ، وأنهم سيتخذون أسلوب المقاطعة إن لم يصطلح مع خصمه ، ويوجهونه لاختيار من يثق به لينهي هذا الخصام الطويل والآثم .

وقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب ، يتضح ذلك بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره ، فقال : (**اذهب فاصبر**) فأتاه مرتين ، أو ثلاثاً ، فقال : (**اذهب فاطرَحْ متاعَك في الطريق**) فطرح متاعه في الطريق ، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره؛ فجعل الناس يلعنونه، فعل الله به وفعل ، فجاء إليه جاره فقال له : ارجع لا ترى مني شيئاً تكرهه) [١] .

[٦] التذكيـــر :

الإنسان لا يعيش بمعزل عن الناس خصوصاً في وقتنا الحاضر ، فقد تجمَّع الناس

---

(١) رواه أبو داود ، كتاب الآداب ، باب (في حق الجوار) ، ص٩٦٨ ، والحديث: حسن ، رقم الحديث ٤٢٩٢ ، وصححه العراقي في تخريج الإحياء ، ١ / ٦٧٠ ، وينظر مجمع الزوائد ، ٨ / ١٧٣ .

من أماكن متفرقة في أحياء سكنية ، متقاربي المنازل ، مشتركي المصالح ، مختلفي الاتجاهات ؛ مما يجعل الخلافات تحدث بين الناس ، سواء كان الخلاف على قطعة أرض ، أو تركة ، أو طريق ، أو أي مصلحة مشتركة، وبعض الشركاء يبغي على بعض مما يوسع الخلافات والخصام والتقاطع والتدابر والشحناء والبغضاء ، وهذا يؤدي إلى فساد المجتمعات وقطع الأرحام ، فعلى المصلحين أن يبذلوا جهداً كبيراً لتذكير الناس بخالقهم وتهوين الدنيا في عقولهم ، وأنَّ ما اختلفوا من أجله شيء لا يقارن في سبيل الأخوة والمحبة والألفة ، وهذا منهج الرسول ﷺ مع أصحابه عندما كانوا يختلفون ويتنازعون ، فقد جاءه رجلان يختصمان في مواريث ليس بينهما بيّنة ، فقال ﷺ : (**إنكم تختصمون إليَّ وإنما أنا بشر ، ولعل بعضكم ألحنَ بحجته من بعض ، وإنما أقضي بينكم على نحو ما أسمع ، فمن قضيتُ له من أخيه حقاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار**) [(١)] .

فالرسول الأعظم ﷺ بيَّن لهما خطورة أخذ حق الغير بدون حق ، وخوفهما أن من أخذ شيئاً ليس له فيه حق إنما يأخذ قطعة من النار .

وروي أنه كان بين طلحة بن عبيد الله [(٢)] والزبير بن أبي بكرة مداراة في وادٍ بالمدينة ، فقالا : نجعل بيننا عمرو بن العاص [(٣)] ، فأتياه ، فقال لهما : أنتما في فضلكما وقديم سوابقكما ونعمة الله عليكما تختلفان ، أو قد سمعتما من رسول الله ﷺ مثل ما سمعت وحضرتما من قوله مثل الذي حضرت فيمن اقتطع شبراً من أرض أخيه [(٤)] بغير حق أنه يطوَّقُه من سبع أرضين ، والحَكَمُ أحوج إلى العدل من

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأقضية ، باب (في قضاء القاضي إذا أخطأ) ، سنن أبي داود ٣ / ٣١٠ .

(٢) طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو القرشي التميمي وأمه الحضرمية سماه الرسول ﷺ طلحة الفياض ، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى ، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ ، قتلَ يوم الجمل وهو ابن ستين سنة . ينظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، ٢ / ٧٦٤ – ٧٧٠ .

(٣) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي السهمي ، يكنى أبا عبد الله ، أسلم سنة ثمان قبل الفتح وأمَّره الرسول ﷺ على سرية نحو الشام ، وكان له يوم مات تسعون سنة ، وكان أحد الدهاة في أمور الدين المقدمين في الرأي والمكر والدهاء . يُنظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٣ / ١١٨٤ .

(٤) متفق عليه ، بلفظ مقارب . يُنظر : البخاري رقم (٣١٩٨) و(٢٤٥٢) ومسلم رقم (١٦١٠) ورقم (١٣٩) .

المحكوم عليه ؛ وذلك لأن الحَكَم إذا جار رزئ دينه ، والمحكوم عليه إذا جير عليه رزئ عرض الدنيا ، إن شئتما فأدليا بحجتكما ، وإن شئتما فاصطلحا ذات بينكما، فاصطلحا ، وأعطى كل واحد منهما صاحبه الرضا [١] .

فما أجمل هذه الموعظة من الصحابي الجليل لمن صحب الرسول ﷺ ، فكيف بغيره ، فهو أحوج بالتذكير بالله وبمصير الإنسان وقصر حياته في هذه الحياة ، وحياته الدائمة في الدار الآخرة ، وأن الموت مصرع كل الأحياء وأنه صائر إلى مصير يكون التراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليساه ، والقبر مقرّه ، وبطن الأرض مستقرُّه ، والقيامة موعده ، والجنة والنار مورده .

وحقيقٌ بمن كان هذا مصيره أن يحسن التعامل مع الآخرين وأن يعفو عمَّن ظلمه، ويسامح من أساء إليه، وهذا عمل العقلاء ، قال رسول الله ﷺ : (**الكيِّسُ مَنْ دانَ نفسَهُ وعَمِلَ لِمَا بعدَ الموتِ**) [٢] ، فعلى المصلح أن يذكّر المتخاصمين بقصص الأولين وعفوهم عمن ظلمهم ، فالتاريخ مليء بالمواقف الإيجابية وكذلك مصير المعاندين والظالمين .

(١) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ١ / ١٣٨ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، بدون رقم الطبعة وتاريخها .

(٢) ضعيف ، رواه الترمذي ، (٢٤٦١) ، وابن ماجة ، (٤٢٦٠) ، السلسله الضعيفة رقم (٥٣١٩) .

الفصل الرابع

صفات المصلح

المبحث الأول : مواصفات شخصية .

المبحث الثاني : مواصفات علمية وعقلية.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

صفات المصلح القائم بإصلاح ذات البين .

ينبغي أن تتوفر في المُصلِح مواصفات معينة تؤهله بأن يقوم بمهمة إصلاح ذات البين على أكمل وجهٍ ممكن .

وقد قسمتُ هذا الفصل إلى مبحثين على النحو الآتي :

المبحث الأول
مواصفات شخصية

[١] الإخلاص :

على الساعي لإصلاح ذات البين أن يجعل عمله خالصاً لله ـ سبحانه وتعالى ـ مبتغياً من الله الأجر والمثوبة ، قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء : ١١٤] ، فلا يقصد بعمله شكراً من أحد ، ولا تحصيل جاه ، أو شهرة ،أو سمعة ، فإن المصلِح إنما يكون مقبولاً عند المتخاصمين إذا شعروا بإخلاصه لله ـ سبحانه وتعالى ـ في سعيه لإصلاح ذات البين ،وكذلك إخلاصه في حل القضية وإيصال الخصوم إلى حلٍ مرضٍ،ولا بد أن يستشعر المصلح قول الرسول ﷺ : (**إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وابتغى به وجهه**)[١] ، فليحرص الساعي إلى إصلاح ذات البين أن يكون عمله خالصاً لله راغباً في حل الخصومة القائمة بين المتخاصمين ، وعليه أن يتجنب الشوائب التي تعكّر صفاء نيته، فالمصلِح لا يكون قوله مقبولاً وحكمه نافذاً ، إلا إذا كان خالياً من

(١) أخرجه النسائي من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، ٦ / ٢٥ رقم (١٠٣١٤٠) ، كتاب : (الجهاد)، باب : (من غزا يلتمس الأجر والذكر) ، حسن صحيح . يُنظر : الصحيحة رقم (٥٢) للشيخ الألباني .

الأغراض الدنيوية، ويجب إخلاص العمل في إصلاح ذات البين وفي غيره .

[٢] الصبر:

من الصفات التي يجب أن يتصف بها القائم بمهمة إصلاح ذات البين الصبر الجميل ، فهو يواجه أنماطاً مختلفة من الناس تختلف طبائعهم وإراداتهم ورغباتهم لحل قضاياهم ،ومن هذا المنطلق فإن المصلح سيتعامل مع المتعلم المتفهم ، والجاهل الأحمق ، والغضوب المعاند ، والمخادع ،وغيرهم ، ففي مثل هذه المواقف يكون الصبر رائده وعدته والتحلي به خلقه ؛ كي يتمكن من ضبط نفسه عندما يتعامل مع المتخاصمين في مجلس حكمه ، وغالباً ما يتم في مثل هذه الأماكن رفع الأصوات والمهاترات، واستخدام الكلام البذيء الغير لائق ، كما هو مشاهد في الواقع المعاش ، فعلى المصلح أن يتخلق بهذا الخلق العظيم ويتذكر الأجر من الله الكريم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

ولعظمة خلق الصبر فإن التحلّي به والتزيُّن به له الأجر العظيم من الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، كما بيّنته الآية السابقة .

وقد أعلن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حبه للصابرين بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٠] ،وهكذا نجد أن منزلة الصبر منزلة عالية لا ينالها إلا المتقون الصادقون ، فالصبر سمة من سمات المؤمنين وصفة من صفاتهم اللازمة لهم ، فالصبر للنفس غلوب وهذا من حسن التوفيق وأمارة السعادة للمرء .

[٣] الحكمة:

والحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل [١] ، ولا يُسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بين العلم والعمل به، وقيل :الحكمة وضع كل شيء في موضعه، وقيل سرعان الجواب مع الإصابة [٢] ، فالمصلح الحكيم هو الذي ينظر في القضايا المعروضة عليه ببصيرة

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مادة حكم ، ص١٢٧ .

(٢) يُنظر : محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن٢ / ١٣١ ، ويُنظر : مدارج السالكين لابن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م ٢ / ٤٧٨ .

ثاقبة ، ويوفِّق بين الآراءِ ويقرب بين الأطراف ويتريث ويتأنى ، فلا يعجل في إصدار الأحكام . والحكمة تقوم على ثلاثة أركان هي : العلم ، والحلم ، والأناة. وآفاتها وأضدادها ومعاول هدمها : الجهل ، والطيش ، والعجلة ، فلا حكمة لجاهلٍ ، ولا طائشٍ ولا عجول [١] ، فالمصلح لابد أن يتمتع بسعة الصدر، والقدرة على احتواء المواقف ، وحسن الاستماع إلى المتخاصمين ، والتمكن من تهدئة المواقف ؛ ليصل المصلح إلى إطفاء جذوة الخلاف وإزالة أسباب الخصومة وإحلال المصافاة والمسالمة ، كما ينبغي على المصلح أن يكون له معرفة في الدين والفقه في التأويل وسجية تعينه على الفهم .

٤- الصـــدق :

من الصفات والمعايير التي يجب أن تتوافر في شخصية المصلح ،وهي من الصفات التي امتدح الله بها المؤمنين بقوله:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩] ، فالصدق أصل المحمودات وركنُ النبوات ، ونتيجة التقوى، ولولاه لبطلت أحكام الشرع[٢]، ولما كان الصدق بهذه المنزلة العظيمة في ديننا الإسلامي ، فلابد أن يتحلى به من هم في موقع المسؤولية، وخاصة القائمين على إصلاح ذات البين؛ حتى يُقبل قولهم، ويكونوا أهلاً لثقة الناس بهم، ويحصل الصلح بواسطتهم، وعليهم أن يفهموا أنَّ ما يصدر منهم من حلول لقضايا الناس لا يُقبل ولا يستقرُّ في القلوب إلا إذا كان المصلحُ خالصاً في نيته،صادقاً في لهجته، ولا يراعي إلا الله في عمله ، فإن صدق المصلح في الإصلاح ؛جعل الله على يديه الوفاق والاتفاق وإنهاء الخصام ، فالمصلح عندما يبتغي بصلحه رِضَى الله ثم رضى الخصمين ، فهذا أجلُّ الصلح وأحقُّه ، وهو يعتمدُ على العلم والعدل ، فيكون المصلحُ عالماً بالوقائع ، عارفاً بالواجب قاصداً للعدل، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم [٣] .

---

(١) يُنظر : مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٢٧٩ .

(٢) الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٢٧١ .

(٣) ابن قيم الجوزية ، أعلام الموقعين ١ / ١٠٩ ـ ١١٠ .

ولا ضير على المصلح إن استخدم الكذبَ لغرضِ إنهاء الخصام وتقريب وجهات النظر ، قال ابن شهاب [١] : « ولم أسمع من يرخِّص في شيء مما يقول الناس كذباً إلا في ثلاث : الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها » [٢] .

وهذا الترخيص في الكذب لغرض إصلاح ذات البين ، دلالة على أهمية إصلاح ذات البين في الشريعة الإسلامية .

[٥] المبـــادرة :

لا بُد لأهل الخير والصلاح أن يبادروا لإنهاء الخصومات والعداوات التي تحصـــل بين أفراد المجتمـع ؛ حتى يكون متماسكاً بعيداً عن الخلافات والنزاعات ، قال تعالـى : ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وكان رسول الله ﷺ من أول المبادرين لإنهاء الخصومات بين أصحابه ، فها هو يأمر أصحابه بقولـه : « **اذهبوا بنا نصلح بينهم** » [٣] .

وذكر ابن القيم عن عبدالله بن حبيب ابن أبي ثابت [٤] ، قال: كنتُ جالساً مع محمد بن كعب القرظي [٥] ، فأتاه رجل فقال له القوم : أين كنت ؟ فقال : أصلحتُ بين قوم ، فقال محمد بن كعب : أصبت لك مثل أجر المجاهدين ، ثم قرأ ﴿ **لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [النساء : ١١٤] [٦] .

وهذه عائشة رضي الله عنها خرجت من مكة إلى العراق لقصد الصلح ـ على الأرجح ـ بين

---

(١) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وإتقانه ، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة ، مات سنة ١٢٥هـ ، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين ، يُنظر : التقريب ، ٢ / ٢٠٧ ، رقم (٧٠٢) .

(٢) النووي ، شرح صحيح مسلم ٤ / ٢٠١١ .

(٣) سبق تخريجه.

(٤) عبد الله بن حبيب الأسدي الكوفي ، ثقة ، من السادسة ، يُنظر : التقريب ١ / ٤٠٨ رقم (٢٤٩) .

(٥) محمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي المدني،كان قد نزل الكوفة مرة ، ثقة ، عالم من الثالثة ، ولد سنة ٤٠هـ ، مات سنة ١٢٠هـ ، وقيل قبل ذلك ، يُنظر : التقريب ٢ / ٢٠٣ ، رقم (٦٥٩) .

(٦) ابن قيم الجوزية ،أعلام الموقعين ٢ / ٦٨٥ .

الطائفتين من المسلمين المختلفتين المستعدتين للاقتتال ، وكذا طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام رضي الله عنهم جميعاً ، أخرج الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: « لما أقبلت عائشة، بلغت مياه بني عامر [١] ليلاً نبحت الكلاب ، قالت : أي ماء هذا ، قالوا : ماء الحوأب [٢] ، قالت : ما أظنني إلا راجعة ، فقال بعض من كان معها [٣]:بل تقدمين فيراك المسلمون؛ فيصلح الله ـ عز وجل ـ ذات بينهم » [٤] وهذا يدل على أن عائشة ومن معها ﷺ كان هدفهم إصلاح ذات بين المسلمين [٥] ، وعلى المصلحين أن يبادروا إلى إصلاح ذات البين .

[٦] التواضـــع :

على القائمين بإصلاح ذات البين أن يتصفوا بصفة التواضع ، وخفض الجناح ، ولين الجانب مع المتخاصمين ، ومع كل من له علاقة بالقضية المعروضة عليه ، فكما أنه يجب أن يكون قوياً في غير عنف ، يجب أن يكون متواضعاً في غير ضعف ؛ ليكسب القلوب فيسعى الجميع لقبول قوله وحكمه، قال تعالى : ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الحجر : ٨٨] .

ويقول الرسول الكريم ﷺ :« **إن الله أوحى إليَّ أن تَواضَعوا ، حتى لا يفخَر أحدٌ على أحدٍ ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ** » [٦] .

وقد كان الرسول الأعظم ﷺ مثالاً للتواضع ، وخفض الجناح ، ولين الجانب ، وسماحة النفس ، حتى أن الجارية لتأخذ بيده فتنطلق به حيث شاءت ، فعن أنس ﷺ قال : « إن كانت الأمَةَ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت » [٧] .

---

(١) بنو عامر بن صعصعة وديارهم تقع على طريق البصرة ، يُنظر : معجم البلدان ، لياقوت الحموي ١ / ٣١٤ .

(٢) من مياه بني بكر بن كلاب على طريق البصرة، يُنظر : معجم البلدان ، لياقوت الحموي ١ / ٣١٤ .

(٣) كالزبير بن العوام ﷺ ، كما في رواية اخرى ، المسند ٦ / ٩٧ .

(٤) المسند ٦ / ٥٢ ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، وهو صحيح ، كما قال الحافظ في الفتح ، ١٣ / ٤٥ ، وأبو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ٦ / ٢١٢ .

(٥) يُنظر : أبو الفداء الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية ٧ / ٢٥٤ .

(٦) رواه مسلم ٤ / ٢١٩٩ .

(٧) رواه البخاري ، ١٠ / ٤٨٩ ، كتاب الأدب ، باب الكبر ، رقم (٦٠٧٢) .

هكذا كان التواضع متجسداً في شخصية الرسول ﷺ ، وهكذا يجب أن يكون في قادة الأمة والمصلحين ، بل وفي كل فرد مسلم .

[٧] الجود والكرم :

على المصلح أن يكون جواداً سخياً ، يحب بذل المال وصرفه في وجوه الخير ، وإغاثة الملهوف ، وإعانة المحتاج ، وبذل المال في إنهاء الخصام ، وهي من عادات العرب المتوارثة في تأليف القلوب بالمال ، فالمصلح كالطبيب الذي يشخّص المرض ، فهو لديه قدرة في معرفة ما يصلح شانهم ، فربما يكون المال خير علاج فهو يبذله في سبيل إنهاء العداوات وإنهاء القتل والاقتتال :

ألم تر أن المال غـــــاد ورائحٌ ويبقى من المال الأحاديث والذكر [١]

وقد اشتهر عن العرب بذلهم المال لإصلاح ذات البين ، فهذا هرم بن سنان ، والحارث بن عوف سيدا بني مرة اللذان حقنا دماء قبيلتي عبس وذبيان بعد حرب طويلة ، إذ تحملا ديات القتلى ، ويُقال إنها كانت ثلاثة آلاف بعير [٢] ، وهذا سيار ابن محمد بن جابر العزاري احتمل دية شرحبيل بن الأسود بن المنذر ألف بعير [٣] .

وقد جاء الإسلام فأقر تلك المحامد والخصال الكريمة ، والأفعال النبيلة ، فشرع في مصارف الزكاة حقاً لقضاء المغارم التي دفعت لفض الخصومات والمنازعات وإنهاء القتل والاقتتال .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - [٤] : « الغارمون أقسام : فمنهم من تحمل حمالة ، أو ضمن ديناً فلزمه فأجحف بماله ، أو غرم في أداء دينه ، أو معصيته ثم

---

(١) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص٥٨٨ .

(٢) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ١ / ٣١٣ ، وشوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، ص٦٦، دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ، بدون تاريخ طبع .

(٣) أحمد محمد الحوفي ، كتاب : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص٢٣٠ .

(٤) هو : إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، أبو الفداء عماد الدين الحافظ ، مؤرخ فقيه ، ولد سنة واحد وسبعمائة وتوفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة هجرية، ينظر : طبقات المفسرين١ / ١١١-١١٣ ، الدرر الكامنة ١ / ٣٧٣ ، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون رقم الطبعة وتاريخها ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٦ / ٢٣١ .

تاب ، فهؤلاء يدفع إليهم، والأصل في هذا حديث قبيصة بن مخارق الهلالي [١] ، قال تحملت حمالةً فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال: **أقِمْ حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها**، قال : ثم قال : «**يا قبيصة : إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمَّل حمالة فحلَّت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ... إلخ**» [٢] والحَمالة : هي بفتح الحاء ، وهي المال الذي يتحمله الإنسان أي يستدينه ، ويدفعه في إصلاح ذات البين ، كالإصلاح بين قبيلتين ونحو ذلك ، وإنما تحلُّ له المسألة ويعطى من الزكاة بشرط أن يستدين لغير معصية [٣] .

قال النووي -رحمه الله-: « مثل أن يخاف فتنة بين قبيلتين ، أو شخصين فيديِّن طلباً للإصلاح ، وإسكان الثـائرة، فينظر ، إن كان ذلك في دم تنازع فيه قبيلتان ، ولم يظهر القاتل فتحمل الدية ؛ قضى دينه من سهم الغارمين إن كان فقيراً ، أو غنياً بعقار قطعاً ، وكذا إن كان غنياً ينفذ على الصحيح ، والغنى بالعروض كالغني بالعقار على المذهب [٤] .

---

(١) قبيصة بن المخارق بن عبد الله بن شداد الهلالي ، أبو بشر، قال البخاري : " له صحبة ويقال له : البجلي " سكن البصرة ، ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣ / ٢٢٢-٢٢٣ ، رقم (٧٠٦١) .

(٢) أخرجه مسلم ٧ / ١٣٣ ، كتاب الزكاة ، باب من تحل له المسألة .

(٣) النووي ، شرح صحيح مسلم ٧ / ١٣٣ .

(٤) النووي ، روضة الطالبين ٢ / ٣١٨ .

المبحث الثاني

مواصفات علمية وعقلية للقائم بإصلاح ذات البين

[١] العلـــم :

العلم من أعظم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها المصلح وأن يؤهل نفسه به ، ولهذا قال الرسول ﷺ : (**لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها**) [١] ، والمقصود بالعلم هنا هو علم الشريعة التي أنزلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لإقامة العدل والكف عن الظلم ، وكل صلح يتم دون معرفة الشريعة وفقهها فهو صلح فاسد مردود ، يؤيد هذا ما رواه أبو هريرة وزيد بن خالد الجهني [٢] رضي الله عنهما قالا : جاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، اقض بيننا بكتاب الله ، فقام خصمه فقال : صدق ، اقض بيننا بكتاب الله ، فقال الأعرابي : إن ابني كان عسيفاً [٣] على هذا فزنى بامرأته ، فقالوا لي : على ابنك الرجم ، ففديت ابني منه بمائة من الغنم ووليدة ، ثم سألت أهل العلم فقالوا : إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام ، فقال النبي ﷺ : « **لأقضين بينكما بكتاب الله ، أما الوليدة والغنم فرد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام** » [٤] ، قال ابن حجر : « **الصلح المبني على غير الشرع يُرد ويُعاد المال المأخوذ فيه** » [٥] ، والساعي لإصلاح ذات البين ينبغي أن يكون لديه

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب : العلم ، باب الاعتباط في العلم والحكمة ، ١ / ١٦٥ ، ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ، ١ / ٥٥٨ .

(٢) زيد بن خالد الجهني ، مختلف في كنيته فقيل أبو زرعة أو أبو عبد الرحمن أو أبو طلحة ، شهد الحديبية وكان مع لواء جهينة يوم الفتح ، وحديثه في الصحيحين وغيرهما ، مات سنة ٧٨هـ بالمدينة وله ٨٥ سنة في خلافة معاوية . يُنظر : الأصبهاني معرفة الصحابة ، ٢ / ٣٥٧ .

(٣) العسيف : الأجير ، وسمي الأجير عسيفاً ؛ لأن المتاجر يعسفه في العمل ، يُنظر : الفتح ١٢ / ١٤١ .

(٤) أخرجه البخاري ، الفتح ٥ / ٣٠١ رقم (٩٦٢٥ – ٩٦٢٦) . كتاب : الصلح ، باب : إذا اصطلحوا على صلح جور ، فالصلح مردود .

(٥) الفتح ١٢ / ١٤٠ـ١٤١ .

علم بالشريعة، وإلا دخل تحت الوعيد المذكور في قول الرسول ﷺ من حديث ابن بريدة [١] عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: « القضاة ثلاثة ،اثنان في النار وواحد في الجنة : رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل جار في الحكم فهو في النار » [٢] .

بل نجد القرآن الكريم قد بيَّن هذه الصفة الموجزة لفظاً والمعجزة معنىً، قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

ووجه الاصطفاء : بأن الله زاده بسطة في العلم ، الذي هو ملاك الإنسان ،ورأس الفضائل ، وأعظم وجوه الترخيم [٣] .

والمقصود بالعلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام [٤] .

ورضي الله عن أبي هريرة حيث قال : « أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضي بغير حلم » [٥] .

[٢] العـــدل :

العدل صفة ربانية كتبها الله على نفسه وأوجبها على عباده بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء :٥٨]فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجـور . ليست من الشريعة [٦] ، فالمصلح حتى يوفق في إزالة الشقاق وإحلال الوفاق ، لابد أن يعدل بين المتخاصمين

---

(١) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي ، توفي سنة ٦٣هـ ، من أكابر الصحابة ، أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد خيبر وفتح مكة ، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه ، وسكن المدينة وانتقل إلى البصرة ثم إلى مرو ، فمات بها ، له ١٦٧ حديثاً . يُنظر : الأعلام للزركلي ٢ / ٥٠ .

(٢) صحيح ابن ماجة ، ٢ / ٧٧٦ ، رقم (٢٣١٥) ، كتاب الأحكام ، باب الحاكم يجتهد في الحق ، ورواه أبو داود رقم (٣٥٧٣) . يُنظر : محمد بن علي الشوكاني ، نيل الأوطار ٨ / ٣٠٢ .

(٣) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، فتح القدير ، ١ / ٢٦٤ .

(٤) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص٤٦ .

(٥) أبو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ٨ / ١١٣ .

(٦) محمد الصادق عفيفي ، المجتمع الإسلامي وأصول الحكم ، القاهرة ، دار الاعتصام ، طبعة ١٤٠٠هـ ، ص٩٩ .

ويصلح بينهم بالعدل ، قال تعالى : ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩] ، والإصلاح هنا بإزالة آثار القتل بعد اندفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم ، فقال : ﴿ بِالْعَدْلِ﴾ فكأنه قال : واحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق وأصلحوا بالعدل مما يكون بينهما [١] ، والغرض من إصلاح ذات البين إيصال العدل ؛ والذي رغّب فيه الرسول ﷺ وبين فضيلته بقوله : « **كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة** » [٢] .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « الصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يُعتمد فيه رضى الله سبحانه وتعالى ورضى الخصمين ، فهذا أعدل الصلح وأحقه ، وهو يعتمد على العلم والعدل فيكون المصلح عالماً بالواقع ، عارفاً بالواجب ، قاصداً العدل ، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم » [٣] ، فالمصلح ينبغي أن يكون عدلاً ، والعدل هو الذي تعتدل أحواله في دينه وأفعاله، قال ابن حزم : « العدل هو من لم تعرف له كبيرة ولا مجاهرة بصغيرة ، والكبيرة هي ما سمَّاها الرسول ﷺ كبيرة ، أو ما جاء فيه وعيد ، والصغيرة ، مالم يأت فيه وعيد » [٤] .

والعدول في الأرض ثلاثة « حاكم من الله تعالى :وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والعامل والآمر به: وهو كل والٍ عدل، والناض المعتبر به: وأعلاه الدينار » [٥] ، فالعدل مهم للمصلح حتى يُوفق في إزالة الشقاق وإحلال الوفاق .

[٣] رجاحـــة العقـــل :

العقل أول جوهر أوجده الله تعالى وشرفه ، بدلالة ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « **أول ما خلق الله تعالى العقل ، فقال له أَقْبِلْ ؛فَأَقْبَلَ، ثم قال له : أَدْبِرْ ؛ فَأَدْبَرَ،**

(١) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، طهران ، ٢٨ / ١٢٩ .
(٢) متفق عليه ، وقد تقدم تخريجه .
(٣) ابن قيم الجوزية ، أعلام الموقعين ، ١ / ١٠٩-١١٠ .
(٤) علي بن أحمد بن سعد بن حزم ، المحلى ١٠ / ٥٦٤ .
(٥) الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٣٥٤ .

ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقتُ أكرم علي منك ، بك آخذ وبك أعطي ، وبك أثيب ، وبك أعاقب »[١] .

وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ (٢٩) ﴾ [ص : ٢٩] ، وليتعظ بالقرآن أولوا العقول[٢] .

فالعقل أسُّ الفضائل ومناط التكليف ، قيل : « ما اكتسب المرءُ مثل عقل يهدي صاحبه إلى هُدىً ، أو يردُهُ عن ردى »[٣] .

فبالعقل يعرف الإنسان حقائق الأمور ، ويفصل بين الحسنات والسيئات[٤] .

ومن خلال العقل تزداد المعرفة وتتضح الفكرة ويبين الحق ، فالعقل ينمو إن استعمل وينقص إن أهمل ، فالمصلح يعمل في العادة عقله وفكره لاستنباط الحلول المناسبة المرضية للخصمين ، والله يدعونا للتدبر والتفكر والتأمل ، وهذا ما دعت إليه الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾وأولو الألباب هم أصحاب العقول الراجحة الذين يدركون الأمور على حقيقتها ويعرفون العواقب جراء إهمال إصلاح ذات البين، فعليهم أن يقوموا بإصلاح ذات البين على أكمل وجه ، فهذا واجب العقلاء من الناس ومسؤوليتهم على إنجاح حل القضايا وإنهاء الخصومات بأسرع وقت ممكن ، وقد اهتمت الشريعة الإسلامية بعقل الإنسان أيّما اهتمام وأعطته قدراً وافراً من الرعاية وأحاطته بما يوفر له القيام بوظائفه .

[٤] القدرة على التذكر :

لابد للمصلح أن يكون قويَّ الذاكرة يتذكَّر المواقف المختلفة بين الخصوم ، ويذكرُ أسماء المتخاصمين ، ونوع قضاياهم ، وأن يكون ملماً بكل قضية ، يعرف أطراف

---

(١) اختلفت آراء العلماء في حكمهم على الحديث ، منهم من ضعفه وانه موضوع ، قال السيوطي في الدرر : " إني وجدت لهذا الحديث أصلاً صالحاً ، وهو مرسل جيد الإرسال " يُنظر : جامع الأصول، ٤ / ١٨ ، وكشف الخفاء ٢ / ١٤٨ .

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي،تفسير النسفي،ص٤٠ ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة بدون.

(٣) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص١٩ .

(٤) عبد النعيم حسنين ، الإنسان والمال في الإسلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٦م ، ص١٢١ .

النزاع ومحل النزاع ، ونوع النزاع ؛ حتى تكون الصورة واضحة للقضية التي تطرح عليه فهو يعرف أسبابها ، وكيف حصلت ، ولديه جميع المعلومات حتى يتمكن من الحلول ، فهو « تكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة »[١] فهو لا يطلب إعادة طرح القضية بتفاصيلها ، وإنما بعض الأمور التي أشكلت عليه من باب التوضيح

إذاً فالقائم بإصلاح ذات البين وخاصة من اشتهر بقدرته على إنهاء الخصومات والقدرة على الحلول المرضية لدى الخصوم تكثر لديه القضايا ، ويتردد عليه كثيرٌ من أصحاب المشاكل يعرضون عليه قضاياهم ومشاكلهم ، فالساعي لإصلاح ذات البين القادر على التذكُّر بمجرد أن يرى الشخص صاحب المشكلة يتصور المشكلة ويعرف أبعادها ، ولا يطلب من الشخص إعادتها وسرد فصولها ، ولكنه قد عرفها في جلسة سابقة ، فالمشتكي عندما يسمع المصلح قد استوعب قضيته يشعر بالراحة والاطمئنان وأن قضيته موضع اهتمام المصلح ، وأنه ما زال يتذكرها ولم تطو في ذاكرة النسيان عند المصلح؛ فهو أجدر بالثقة وقبول ما يصدر منه من حلول ، وهذا ما نلاحظه في بعض رجال الصلح القَبَلي في اليمن .

[٥] التميّـز :

كلما كان المصلح صاحب مكانة عالية ، وقيادة متميزة ، وشخصية متكاملة ، وشجاعة قوية ، وحلم ، وعلم ، أو سن يكرم لأجله ، أو قرابة حميمة من المتخاصمين ، فإن ذلك أدعى لقبول المتخاصمين لعرض مشكلتهم عليه ليقوم بحلها ثم رضاهم لحكمه والنزول عند قوله والالتزام بقضائه ، والواقع التاريخي يشهد بذلك ، فهذا مرثد الخير في الإصلاح بين سبيع بن الحارث[٢] وميثم بن مثوب ، جاء من حديث محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن أبيه ، قال : كان مرثد الخير بن ينكف بن نوف بن مَعدِ يكرب بن مُضحي قَيْلاً ، وكان حَدِباً على عشيرته مُحباً

---

(١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٦ .

(٢) سبيع بن حاطب بن الحارث بن هيشه ، من بني معاوية بن عوف، قتل يوم أحد. يُنظر : الاصبهاني معرفة الصحابة، ٢ / ٥٤٥ .

لصلاحهم ، وكان سُبيع بن الحارث أخو علس ، وَعلس هو ذو جدن ، وميثم بن مثوب بن ذي رعين تنازعا الشرف حتى تشاحنا ، وخيف أن يقع بين حَيَّيْهما شر؛ فيتفانى الحيَّان ، فبعث إليهما مرثد فأحضرهما ليصلح بينهما ، فقال لهم من جملة خطبته « فقد عرفتم أنباءَ من كان قبلكم من العرب ممن عصى النَّصيح ، وخالف الرشيد ، وأصغى إلى التقاطع ، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم ، وكيف كان صيور أمورهم فتلافوا القرحة قبل تفاقم الشَّاي واستفحال الدَّاء وإعواز الدَّواء ، فإنه إذا سفكت الدماء استحكمت الشحناء ، وإذا استحكمت الشحناء تقضبت عُرى الإبقاء وشمل البلاد » ثم كان الحوار بين المتخاصمين والأخذ والرد حتى قالوا : « لا أيها الملك ، بل نقبل نُصحك ونُطيع أمرك ونطفئ الثائرة ونحلُّ الضغائن ، ونثوب إلى السِّلم » (١) .

وهذا سعد بن معاذ (٢) رضي الله عنه ، سيد قومه، قد نزل أهل قريظة على حكمه، عن أبي سعيد الخدري (٣) رضي الله عنه « أن أناساً نزلوا على حكم سعد بن معاذ فأرسل إليه ، فجاء على حمار، فلما بلغ قريباً من المسجد قال النبي ﷺ : **«قوموا إلى خيركم ـ أو سيدكم ـ فقال : يا سعد : إن هؤلاء نزلوا على حكمك**، قال : فإني أحكّم فيهم أن تقتل مقاتلتهم،وتُسبى ذراريهم،قال :**حكمت بحكم الله، أو بحكم الملك**»(٤).

فالحديث بيَّن أنَّ رسول الله ﷺ استحسن حكم سعد بن معاذ ، وبين مكانته عند قومه ، وأمرهم بالقيام له وأنه سيدهم .

---

(١) أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيزون القالي ، كتاب الأمالي ، ص٩٨-٩٩ .

(٢) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ، من أهل المدينة ، شهد بدراً وأحداً والخندق ، ودفن بالبقيع وعمره سبع وثلاثون سنة . سير أعلام النبلاء ١ / ٢٧٩ . يُنظر : الاعلام للزِركْلي ٣ / ٨٨ .

(٣) أبو سعيد الخدري ، الإمام المجاهد ، مفتي المدينة ، سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي ، شهد الخندق وبيعة الرضوان ، مات سنة أربع وسبعين في المدينة . سير أعلام النبلاء ، ٣ / ١٦٨ . يُنظر : الاعلام للزِركْلي ٣ / ٨٧ .

(٤) أخرجه البخاري في الفتح ٧ / ١٢٣ رقم (٣٨٠٤) ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه ، ورواه مسلم ٣ / ١٣٨٨-١٣٨٩ رقم ١٧٦٨) ، كتاب الجهاد والسير ، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن .

وعن هاني بن يزيد بن نهيك [١] رضي الله عنه قال : « إنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم وهم يكنونه بأبي الحكم ، فدعاه رسول الله ﷺ فقال له : **إن الله هو الحكم ، وإليه الحكم فلِمَ تكنى أبا الحكم ؟** ، فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمتُ بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله ﷺ : **ما أحسن هذا ؟ فمالك من الولد**، قال: لي شريح وعبدالله ، قال: **فمن أكبرهم؟**، قال:شريح [٢] ، **قال : فأنت أبو شريح** [٣] ، فقد أعجب الرسول ﷺ بفعله هذا واستحسنه .

وخلاصة القول:

إنَّ المُصلِحَ لابد أن يتصف بالأخلاق الإسلامية ، ويتحلّى بالآداب الدينية ، ويتميَّز بمعالي الصفات الحسنة ، فهو بصير بأحوال الناس ، خبير بأمورهم ، ليس خِبّاً ولا مُعطِّلاً ، يكون الصبر عونه ، وتحمّل الأذى خِلّتهُ ، فطنٌ ، نبيهٌ ، يستطيع أن يعطي كل صنف من الناس من الكلام ما يقنعهم بقبول الحق ، فهو يستطيع أن يرد شاردهم ، ويكبح جماحهم ، إلى حيث يستمعون حكمه وصلحه فهو ذو نفسٍ طيبة قد علت نفسه، وتهذَّب خلقه ، ورشد عقله. فهو دائماً يراقب الله في حكمه، فهو يعلم أن الله مطلع عليه ، عالمٌ بما يعمل [٤]، واضح معيار الحق والباطل لديه ، يتجنّب الحكم حال الغضب، سليم المقصد في سعيه لإصلاح ذات البين .

---

(١) هاني بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن خباب من بني الحارث ، كنّاه النبي ﷺ بأبي شريح . يُنظر : الأصبهاني ، معرفة الصحابة ، ٤ / ٣٨١ .

(٢) أخرجه أبو داود ٤ / ٢٨٩ رقم (٤٩٥٥) ، كتاب : الأدب ، باب تغيير الاسم القبيح ، والنسائي ٨ / ٢٢٦ رقم (٥٣٨٧) كتاب آداب القضاء إذا حكموا رجلاً فقضى بينهم .

(٣) شريح بن هاني بن زيد الحارثي المذحجي،أبو المقدام الكوفي، مخضرم، ثقه، قتل مع ابن أبي بكرة بسجستان . تقريب التهذيب، ١ / ٣٥٠ ، يُنظر : سير أعلام النبلاء ، ٤ / ١٠٧ . الأعلام للزِركْلي ٣ / ١٦٢ .

(٤) يُنظر : إصلاح الوعظ الديني ، تأليف المرحوم محمد عبد العزيز الخولي ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ص١٢-١٣ .